

التجربة الثقافية لحركة حماس في السجون الإسرائيلية

تأليف
محمد ناجي صبيحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التجربة الثقافية لحركة حماس في السجون الإسرائيلية

تأليف
محمد ناجي صبحة



مركز الزيتون
للدراسات والاستشارات
بيروت - لبنان

The Cultural Experience of Hamas Movement in the Israeli Prisons

By:

Mohammad Naji Sabha

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

2024م – 1445هـ

بيروت – لبنان

ISBN 978-614-494-046-4

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

تلفون: +961 1 80 36 44

تلفاكس: +961 1 80 36 43

ص.ب.: 14-5034، بيروت – لبنان

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net الموقع: www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:



تصميم وإخراج

ربيع معروف مراد

فهرس المحتويات

3	فهرس المحتويات.....
5	الإهداء.....
7	المقدمة.....
(11-54)	الفصل الأول: لجان العمل الثقافي العاملة في الساحة الاعتقالية.....
13	أولاً: لجان العمل الثقافي.....
24	ثانياً: مصادر الثقافة لدى الأسرى.....
33	ثالثاً: آليات تلقي المعرفة.....
34	رابعاً: المحاور الثقافية لحركة حماس في السجون.....
38	خامساً: إنجازات.....
42	سادساً: الإصدارات الثقافية.....
46	سابعاً: عقبات ومعوقات.....
51	ثامناً: مواطن الخلل.....
	الفصل الثاني: الدراسة الجامعية الأسيرة... عمل وطني،
(55-82)	ومقاومة ثقافية.....
57	أولاً: تاريخ التدريس الجامعي في السجون.....
62	ثانياً: الهيكلية.....
65	ثالثاً: المنهاج.....
67	رابعاً: الدراسة الجامعية... عمل وطني، ومقاومة ثقافية.....
69	خامساً: الأثر النفسي والثقافي للدراسة الجامعية على الأسرى.....
75	سادساً: معوقات.....

83-133	الفصل الثالث: أنشطة ومشاريع
85	أولاً: جامعة الصديق الإسلامية
88	ثانياً: جامعة الأحرار
99	ثالثاً: الأسر التربوية
107	رابعاً: استبيان تقييم أداء النقيب
108	خامساً: بطاقة تقييم وتقويم
108	سادساً: الأنشطة الثقافية
122	سابعاً: برنامج الحد الأدنى
126	ثامناً: مركز عبد الصمد حريزات لدراسات الأسرى
129	تاسعاً: المكتبة وأنشطتها
131	عاشراً: نادي القراءة والمطالعة "الملتقى الثقافي"
132	حادي عشر: أنشطة أخرى
135-166	الفصل الرابع: ملاحق ثقافية
137	أولاً: أسماء المساقات
142	ثانياً: دورات ثقافية
143	ثالثاً: محاضرات ثقافية
145	رابعاً: كتب مقترحة
151	خامساً: التقرير الثقافي
153	سادساً: استبيان تقييمي
154	سابعاً: أجندة وأحداث
161	ثامناً: من إصدارات أسرى حركة حماس
164	تاسعاً: دراسات علمية أصدرها الأسرى
165	عاشراً: نماذج وعناوين خطب أداها الأسرى في السجون
167	فهرست

الفصل الأول

**لجان العمل الثقافي العاملة في
الساحة الاعتقالية**

لجان العمل الثقافي العاملة في الساحة الاعتقالية

أولاً: لجان العمل الثقافي:

بالرغم من وجود تفصيل لهيكلية اللجنة الثقافية في السجون، إلا أن لجان العمل الثقافي أوسع من اللجنة الثقافية. وجميعها تشترك من خلال أنشطتها في تحقيق الأهداف الثقافية والتربوية والتعبوية في السجون.

صحيح أن اللجنة الثقافية هي العمود الفقري للعمل الثقافي، والمشرفة على عدد من لجان العمل الثقافي، كما يظهر في الرسم صفحة 24، إلا أن العمل الثقافي لا يكتمل إلا باشتراك جميع اللجان ضمن منظومة متناسقة. فلجنة تركّز على الثقافة بفروعها العامة، وأخرى تهتم بالقرآن وعلومه، وثالثة تغطي المحور السياسي وأحداثه، ورابعة متخصصة بالثقافة الأمنية والتعبوية، ولجنة دورها منح الأسير شهادات جامعية رسمية.

في هذه السطور سنعرض لجان العمل الثقافي الرئيسية العاملة في الساحات الاعتقالية، وهي:

1. اللجنة الثقافية.
2. مركز النور.
3. جامعة الأحرار.
4. اللجنة السياسية.
5. اللجنة الأمنية.

1. اللجنة الثقافية:

هي اللجنة الرئيسية المكلفة بإدارة العمل الثقافي في السجون، وما الأوراق التي بين أيدينا إلا شرح لأدائها ودورها، وعرض لأنشطتها وإنجازاتها، وهي لجنة متشعبة الهيكلية تبدأ من اللجنة الثقافية العامة للهيئة القيادية العليا، لجنة الإعداد والتخطيط الثقافي والتربوي، وتمتد إلى اللجنة الثقافية العامة لكل سجن، فاللجنة الفرعية لكل قسم من أقسام السجن. وفي كل لجنة من هذه اللجان تشعبات وأدوار.

تُشرف اللجنة الثقافية العامة للهيئة على اللجان الثقافية المحلية للسجون وعلى بعض الأنشطة الثقافية العامة؛ كمركز الدراسات، وموقع الفيسبوك Facebook،

والمجلة، والتنسيق العام الخارجي للجامعة. بينما تشرف اللجان الثقافية العامة والفرعية (المحلية) في السجون على البرامج الثقافية وأنشطتها اليومية.

أ. الهيكلية العامة للجنة الثقافية:

تُعدّ اللجنة الثقافية أكبر اللجان من حيث هيكليتها وواجباتها والأدوار التي تقوم بها، ففي داخل اللجنة العامة جملة لجان فرعية، كل منها مشروع قائم بذاته، يحوي بداخله تفرّعات، ولجان وواجبات وأعباء. وقد توسعت هذه الهيكلية وازدادت الواجبات والأعباء نظراً للخطة التي وضعناها مع بداية دورة الهيئة تموز/ يوليو 2012، إذ إننا أنشأنا مشاريع وأفكار جديدة، فكانت هيكلية اللجنة على النحو الآتي:

اللجنة الثقافية العامة للهيئة القيادية العليا:

مسؤولها عضو في الهيئة، ولها فروع عدة على النحو التالي:

- العمل الثقافي والتربوي: تقوم على متابعة البرنامج الثقافي والتربوي في السجون، وتشرف على عمل اللجان الثقافية المحلية، ويقع في إطار عملها عدة مهام وأنشطة وفروع.
- جامعة الأحرار: مسؤولة عن العمل الجامعي؛ جامعة الأقصى، وجامعة القدس المفتوحة، والكلية الجامعية... وكل ما يتعلق بذلك من متابعة، وتسجيل، ودوام، ومقررات، ولجان تدريس، وامتحانات، ورفع النتائج النهائية للجامعات.
- مركز النور: لجنة تحفيظ القرآن الكريم، وهي لجنة مستقلة بفروعها، مسؤولة عن مشروع حفظ كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، وتعلم تلاوة كتاب الله على أصوله. هذه المحاور الرئيسية، لها تفرّعات، بحيث يوجد لكل فرع مسؤول أول ولجنة ومدوبون موزعون على جميع قلاع الأسر، يمثلون اللجان الفرعية المختصة بكل محور.

اللجان الثقافية المحلية:

اللجان موزعة على جميع السجون، ففي كل سجن لجنة ثقافية متكاملة، تحوي مندوبين لما سبق ذكره من فروع للجنة العامة، كما تحوي أعضاء يتابعون مهام العمل الثقافي في الموقع، مثل:

- متابعة الجلسات؛ مسابقات، ومحاضرات، ودورات،
- متابعة الإصدارات؛ مجلات، وتعميمات، ونشرات، وبطاقات،
- متابعة المسابقات؛ مكتوبة، وتنافسية وجاهية، وألعاب،
- المكتبة: متابعة مكتبة السجون وما يتعلق بها من أنشطة وعلى رأسها؛ نادي القُراء، والملتقى الثقافي.

وبحكم اتساع مهام اللجنة، والأدوار التي تقوم بها، فإن بعض السجون تفرز لجاناً صغيرة إضافية تقوم ببعض أعباء اللجنة مثل:

- الأوقاف: متابعة الأذان، وخطبة وصلاة الجمعة، وعموم الصلوات.
- اللجنة الفنية: القيام بفقرات فنية كالنشيد والتمثيل.
- اللجنة الرياضية: متابعة الألعاب الرياضية في الساحة، وتنظيم مسابقات رياضية.

ب. اللائحة الثقافية:

زيادة في التعريف باللجنة الثقافية وواجباتها وأهدافها وآليات عملها، فإننا نورد البنود التي تتعلق باللجنة الثقافية في لائحة الهيئة القيادية العليا، وهي على شقين:

1. متعلق باللجنة الثقافية العامة للهيئة.
2. يتعلق باللجان الثقافية المحلية في مختلف السجون.

البنود المتعلقة باللجنة الثقافية العامة للهيئة، هي:

مادة (60): لجنة الإعداد والتخطيط التربوية الثقافية:¹

بند (1): هي لجنة تتولى وضع السياسات العامة لإنجاح العمل التربوي الثقافي على مستوى الحركة في كافة المواقع، بما يتلاءم مع السياسات العامة المعتمدة عن الحركة.

مادة (61): مهام لجنة الإعداد والتخطيط التربوية الثقافية:

بند (1): وضع الخطط الدائمة والمرحلية، ورسم السياسات التربوية الثقافية لكافة المواقع؛ منسجمة مع السياسات العامة للحركة مراعية واقع السجون، وتعميم هذه السياسات على كافة المواقع بعد إقرارها من الهيئة القيادية العليا.

¹ اللائحة الداخلية للهيئة القيادية العليا لحركة حماس في السجون، 2008.

بند (2): التواصل مع اللجان التربوية الثقافية في كافة المواقع، والعمل على مساعدتها لعلاج أي إشكاليات في مجال عملها.

بند (3): التواصل مع الجهات المعنية في الخارج للتزود بكل جديد في دائرة العمل التربوي الثقافي.

بند (4): العمل على توفير الأدوات المساعدة في العمل التربوي الثقافي... من كتب ومجلات ودراسات وغيرها.

بند (5): العمل على الاتصال بمؤسسات تعليمية وتحصيل شهادات منها، واعتماد مساقات تدرس في السجون بالاتفاق معها، وكذلك بوزراء الأوقاف لاعتماد شهادات الحفظ والتجويد.

بند (6): وضع برامج تخصصية للارتقاء بالإخوة في الرتب التنظيمية.

بند (7): اعتماد برنامج (بطاقة المجاهد التربوية الثقافية)، وتعميمها على كافة المواقع.

بند (8): تقديم تقرير عن سير عمل اللجنة إلى الهيئة القيادية العليا ومن ثم إلى مجلس الشورى العام.

بند (9): كل ما سبق يتم بالتنسيق مع الهيئة القيادية العليا وإقرارها.

البند المتعلقة باللجنة الثقافية المحلية في مختلف السجون، فهي:

مادة (32): اللجنة التربوية الثقافية:

بند (1): هي لجنة يشكلها المكتب التنفيذي في الموقع، يرأسها أحد أعضاء مجلس الشورى المحلي، أو أخ عامل.

مادة (33): مهام اللجنة التربوية الثقافية:

بند (1): تنفيذ البرنامج التربوي الثقافي لأبناء الحركة في المواقع، وفق السياسات المعتمدة من الهيئة القيادية العليا.

بند (2): تفعيل لجنة الأسر وتوزيع الإخوة في أسر متلائمة بقدر الإمكان.

بند (3): إصدار الأنشطة الثقافية والتوجيهية والتعبوية.

بند (4): تشكيل لجنة ثقافية في كل قسم في المواقع، أو التواصل معها بهدف إنجاح عمل اللجنة.



- بند (5): الإشراف على خطبة الجمعة، وتعيين الخطباء وتوجيههم لإثارة القضايا المهمة والحساسة، وانسجاماً مع السياسات العامة.
- بند (6): الإشراف على الدورات التخصصية كدورة النقباء والخطباء، والدورات الإعلامية والسياسية.
- بند (7): الإشراف على مكتبة حماس في المواقع، ومحاولة تنميتها بكل جديد.
- بند (8): إعداد المسابقات العلمية والثقافية والترفيهية.
- بند (9): إحياء المناسبات الإسلامية والوطنية.
- بند (10): إصدار مجلة ثقافية وسياسية في حدود الممكن.
- بند (11): تقديم تقرير شهري وختامي عن سير عمل مجلس الشورى المحلي.
- بند (12): الاجتماع مع أعضاء اللجنة كل أسبوعين وعند الضرورة.
- بند (13): التواصل مع لجنة الإعداد والتخطيط التربوي الثقافية، ورفع تقرير عن سير عملها كل شهرين، وعند الضرورة.

2. مركز النور:

لجنة مستقلة في عملها، مستقلة في موازنتها، والتي تُعدّ أكبر موازنات العمل الثقافي والتربوي، تختصّ بتدريس وتحفيظ القرآن الكريم والحديث الشريف وعلومهما.

وقد شهدنا بأنفسنا مئات الإخوة وقد أتموا حفظ كتاب الله عز وجل في سجنهم، وعشرات الآلاف ممن حفظوا أجزاء من كتاب الله، بالإضافة إلى الذين حفظوا آلاف الأحاديث لرسول الله ﷺ، وذلك ضمن برامج وأنشطة مركز النور.

مركز النور "الياسين" من أجل اللجان دوراً، ومن أشرفها هدفاً. فقد تخرّج من محاضنه مئات الحفظة لكتاب الله عز وجل، وآلاف الحاملين لأجزاء منه. وقد خصصت الهيئة لمركز النور موازنة تفوق باقي فروع الثقافية، بالإضافة إلى التبرعات التي يتلقاها المركز فرفعت من رصيده، وأصبح يخصص جائزة مالية قيّمة لكل من يحفظ جزءاً من كتاب الله عز وجل أو أحاديث رسول الله ﷺ، تشجيعاً للمجاهد أن يشترك في برامج الحفظ.

زيادة في التفصيل، نعرض في السطور التالية أهداف، وآليات، ووسائل مركز النور، الذي سار ويسير عليها في مختلف الدورات التنظيمية.

أ. الأهداف:

تتركز أهداف هذه اللجنة في كتاب الله عز وجل، ومن ثم حديث رسول الله ﷺ. وإن كان الاستقراء يُشير إلى أن القصور ما زال يعتدي مركز النور فيما يتعلق بالأنشطة التي تخصّ الحديث الشريف.

- توثيق صلة المجاهد بربه، ورفع مستواه الروحي والتربوي، وزيادة التزامه بمنهج القرآن الكريم؛ من خلال تنظيم الأنشطة التربوية الدورية.
- ربط المجاهد بكتاب الله؛ بإشراكه في أنشطة المركز.
- تخريج المجاهد المتمكن في تلاوة القرآن وفق أحكامه، القادر على تدريس أحكام التجويد؛ وذلك بمنح شهادة تجويد لما لا يقل عن 20% من المجاهدين سنوياً، نحو الوصول إلى "شهادة تجويد لكل مجاهد".
- إعمار صدور المجاهدين بحفظ كتاب الله عز وجل، أو حفظ أجزاء منه، بحيث لا يقل معدل الحفظ السنوي عن رقم يُحدد في كل دورة تنظيمية.
- تسليح المجاهد بحفظ شيء من حديث رسول الله ﷺ.
- تعميق فهم المجاهدين لآيات كتاب الله، ومعرفة معانيه، من خلال تدريس مساقات محددة.
- إحياء مشروع "السند" المتصل برسول الله ﷺ، بمضاعفة عدد حملة السند سنوياً.

ب. الآليات:

- تشكيل لجنة من الإخوة أصحاب القدرة والكفاءة، تشرف على المراكز، وتنفذ خططها، على رأسهم أخ قادر على إدارة نشاط اللجنة.
- عمل مسح لجميع المجاهدين عبر الاستبيان الثقافي أو استبيان خاص باللجنة، يطلع على مستوى المجاهدين وقدراتهم من حيث شهادة التجويد، ومستوى التلاوة، والتلاوة على القراءات الأخرى، ومقدار الحفظ من كتاب الله، والسند، وحفظ الأربعين النووية، والاستعداد والجاهزية للالتحاق بمشروع الحفظ.



• إعداد برامج خاصة بالحفظ لكل أخ يرغب بالالتحاق بالبرنامج، هذه البرامج مبنية على الدراسات العلمية والتجارب العملية، ثم تنظيم آليات متابعة يومية لجميع المشاركين.

• تشكيل لجان للتسميع اليومي للأفراد والملتحقين بالبرنامج.

• توفير كل ما تحتاجه اللجنة من قرطاسية ومصاحف ودعم مالي.

• إعداد أرشيف مرتّب ومنظّم يسجّل فيه أسماء الملتحقين بالمركز، والأجزاء التي قاموا بتسميعها، ودرجاتهم في التسميع، والجوائز التي تلقوها، ومجموع ما حفظوا من حديث، والشهادة التي حصلوا عليها، وأي معلومة ذات صلة.

• عمل تقييم دائم لعمل المراكز، ومقدار ما أنجزت، ونجاحاتها، وإخفاقاتها، وأداء العاملين فيها، والسعي للرقى بها للأمام.

ج. الوسائل:

• تنظيم دورات لتعليم أحكام التجويد، وأخرى لتعليم القراءات.

• عمل مسابقات معلوماتية حول القرآن الكريم والحديث الشريف.

• تنظيم مسابقات تسميع دورية في حفظ أجزاء وسور من كتاب الله، وأخرى في حفظ حديث رسول الله، ومتابعة تسميع ما ورد في "مشروع الحد الأدنى" من حفظ القرآن والحديث.

• تنظيم حفلات تكريم للحفظة والمشاركين في الحفظ، ولتحفيز الآخرين للحاق بهم.

• إعداد شهادات رسمية ومعتمدة للمشاركين والناجحين، وتوزيع جوائز نقدية وعينية لمن يُسمّع أو يشارك.

• عقد محاضرات وندوات في إطار الحثّ على حفظ كتاب الله وحديث رسوله، والتزام أوامره وشرعه. ويشمل ذلك عرض مساق مقدمة في التفسير، ومساقات أخرى...

• توزيع نشرات تثقيفية في كيفية حفظ كتاب الله، وأخرى معلوماتية حول كتاب الله وحديث رسوله.

• تنظيم امتحانات دورية في التجويد على رواية حفص عن عاصم، لتحقيق ما ورد في "مشروع الحد الأدنى".

3. جامعة الأحرار (الدراسة الجامعية):

وهي اللجنة المسؤولة عن متابعة منح شهادات؛ التوجيهي، والدبلوم، والبيكالوريوس، وشهادات متخصصة أخرى من خلال المنهاج الرسمي للجامعة والوزارات. وقد نجح المشروع في منح الآلاف من الإخوة عبر السنوات الماضية فرصة الاشتراك في الدراسة، أو الحصول على إحدى الشهادات التي ذكرناها. بالإضافة إلى الجهود المبذولة بشكل متواصل من قبل الهيئة القيادية العليا ولجنتها الثقافية؛ لفتح آفاق جديدة وتوسيع البرامج بحيث تشمل منح شهادات الماجستير والدكتوراه إن أمكن، وسنفرد للتعليم الجامعي في السجون فصلاً خاصاً للأهمية.

4. اللجنة السياسية:

هذه اللجنة لا تتبع اللجنة الثقافية للهيئة، أو اللجان الثقافية في السجون. بل تتبع اللجنة مرجعية في الهيئة، لجنة الإعداد والتخطيط السياسية، ولجان مستقلة في السجون. إلا أن بعض السجون تدمجها باللجان الثقافية.

ولتوضيح مهام وصلاحيات ودور اللجنة السياسية في السجون أجدني بحاجة إلى عرض بعض البنود المتعلقة باللجنة السياسية في لائحة الهيئة القيادية العليا، والتي تظهر دورها في بناء الثقافة السياسية للمجاهد في سجنه.

مادة (36): اللجنة السياسية (الفرعية)²:

هي لجنة يشكّلها المكتب التنفيذي، تختص بالشؤون السياسية، يرأسها أحد أعضاء مجلس الشورى المحلي.

مادة (37): مهام اللجنة السياسية (الفرعية):

بند (1): تنفيذ الخطط والبرامج المقدمة من لجنة الإعداد والتخطيط السياسية بعد إقرارها من الهيئة القيادية العليا.

بند (2): الإشراف على الدورات السياسية التخصصية.

بند (3): متابعة المستجندات على الساحة السياسية، وتزويد كافة الإخوة بها من خلال الجلسات والنشرات وغيرها.

² اللائحة الداخلية للهيئة القيادية العليا لحركة حماس في السجون، 2008.

بند (4): الإعداد للجلسات والندوات والمحاضرات والنشرات، بهدف زيادة الوعي السياسي لدى الإخوة.

بند (5): إرشاد الإخوة للكتب والدراسات وغيرها، والتي يمكن الاعتماد عليها، وتدريبها بسبب حاجة الأخ ووفق المقررات المنهجية، بالتنسيق مع اللجنة الثقافية.

بند (6): السعي لإدخال الإصدارات الجديدة من كتب ودراسات وبيانات وغيرها إلى السجن.

بند (7): السعي لتوفير الصحف والمجلات عبر الاشتراك، وتوسيع دائرة ذلك قدر الإمكان.

بند (8): عمل أُرشيف لأهم القضايا التي تتعلق بفلسطين والحركة.

بند (9): تشكيل لجنة ترجمة تهتم بالمواضيع السياسية الهامة في الإعلام الإسرائيلي.

بند (10): تقديم تقرير للجنة الإعداد والتخطيط السياسية عن عمل اللجنة، كل شهرين وعند الضرورة.

بند (11): تقديم تقرير شهري وختامي للمكتب التنفيذي ومجلس الشورى المحلي.

مادة (64): لجنة الإعداد والتخطيط السياسية (الهيئة):

وهي اللجنة التي تتولى وضع السياسات العامة في المجال السياسي للحركة في كافة المواقع بما يتلاءم مع السياسة العامة للحركة.

مادة (65): مهام لجنة الإعداد والتخطيط السياسية:

بند (1): توضيح فكرنا السياسي وثوابتنا لكافة أعضاء الحركة، وإصدار ما يلزم.

بند (2): متابعة الأحداث على الساحة الفلسطينية والعالمية، وبلورة الرأي فيها بما يتواءم مع رؤية الحركة.

بند (3): إيجاد قناة اتصال مع الدائرة السياسية في الخارج لتوحيد الأداء، ومتابعة التطورات والأحداث، وتزويدنا بكل جديد في دائرة العمل السياسي.

- بند (4): العمل على إيجاد الكفاءة السياسية من خلال الدورات التخصصية، بالتنسيق مع لجنة الإعداد والتخطيط التربوية الثقافية.
- بند (5): العمل على توفير الأدوات المساعدة لإنجاح العمل السياسي "إصدارات سياسية في الخارج".
- بند (6): العمل على التواصل مع اللجان السياسية في كافة المواقع، وتزويدها بما يلزم لإنجاح عملها.
- بند (7): تزويد لجنة الإعداد والتخطيط الإعلامية بما يتبلور من رؤى وآراء في القضايا السياسية لنشره وإظهاره إعلامياً.
- بند (8): تقديم تقرير عن سير العمل للهيئة القيادية العليا ومن ثم إلى مجلس الشورى العام.
- بند (9): كل ما سبق يتم بالتنسيق مع الهيئة القيادية العليا وإقرارها.

بناءً على ما سبق يتضح لنا أن اللجنة السياسية هي إحدى لجان التثقيف والتوعية في السجون، تقوم بخدمة أبناء الحركة في السجون بالوسائل والأنشطة ذاتها التي تعتمد عليها اللجنة الثقافية، بدءاً بالنشرة والبيان، مروراً بالندوة والمحاضرة، وصولاً إلى الدورات السياسية المتخصصة، وليس انتهاءً بتوفير مواد تثقيفية سياسية للمجاهدين.

5. اللجنة الأمنية:

هي لجنة تختلف في أدائها ودورها وأهدافها وتركيباتها عن اللجنة الثقافية، إلا أن إحدى "دوائرها" الأساسية، والتي ما زالت تعمل، تختص بمهمة تثقيفية، تكمل حلقة بناء الثقافة التي تتعاون على أدائها لجان العمل الثقافي. هذه الدائرة هي "دائرة التعبئة والتوجيه"، والتي تتكفل بنشر ما تخلص إليه اللجنة الأمنية من معلومات وفوائد وآليات تحصين وحماية لأبناء الشعب الفلسطيني، بعدما تصوغه وتخرجه على شكل دراسات أمنية، أو نشرات ومواد مكتوبة.

وبالرغم من أن اللجنة الأمنية لحركة حماس في السجون توقفت لوقت طويل، ثم لما أُعيد تفعيلها كان تفعيلاً جزئياً ومحدوداً، إلا أن هذه الدائرة، التعبئة والتوجيه، هي الدائرة التي توقفت لوقت أقصر من غيرها، وأُعيد تفعيلها قبل أي دائرة أخرى، لما يحمله دورها من أهمية وضرورة.



لقد خصص التنظيم في السجون، وكذا الهيئة القيادية العليا لوائح خاصة بالعمل الأمني، ذات تفصيل وسعة وشمول. أرفقنا بعضها في الجزء الأول من هذه السلسلة؛ ”التجربة الديمقراطية والمؤسسية لحركة حماس في السجون“، بالإضافة إلى الدراسة الخاصة بالعمل الأمني، والتي لم ترَ النور بعد، والتي أعدناها كجزء من السلسلة تحت عنوان ”التجربة الأمنية لحركة حماس في السجون“.

ولأن حجم اللوائح كبير، لا يسهل إدراجها في هذا الجزء من جديد، كما أنها لا تقع في دائرة بحثنا، وسنقتطع فرعاً واحداً متعلقاً ببحثنا، وهو الخاص بدائرة التعبئة والتوجيه.

مادة (5) / بند (2) / فرع (ج):³

لجنة التعبئة والتوجيه تتشكل من مسؤول اللجنة ومساعديه، وتختص بالتالي:

1. تحسين أبناء الحركة من السقوط الأمني والأخلاقي؛ من خلال الدورات، والدراسات، والنشرات وغيرها.
2. الإشراف على إعداد الكادر الأمني، بالتعاون مع اللجنة التربوية الثقافية.
3. العمل على جلب الكتب والدراسات التي تُعين على زيادة الوعي الأمني لدى الإخوة.
4. رصد الانحرافات السلوكية ومحاولة علاجها بكل وسيلة ممكنة، بصورة شخصية وعامة.

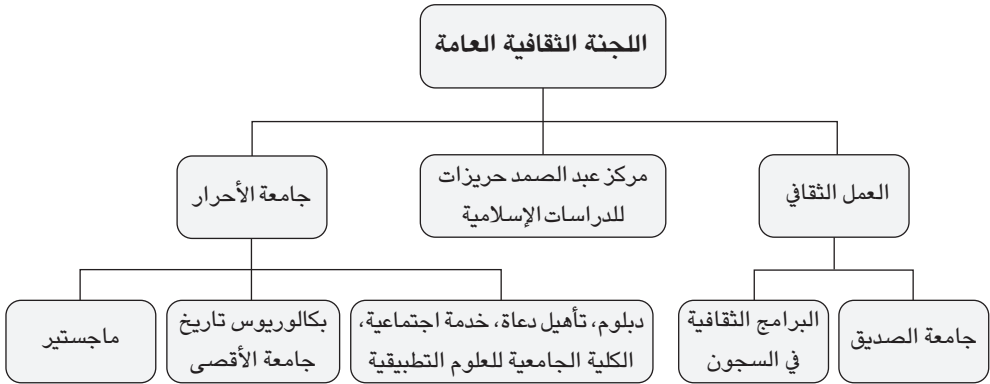
يظهر لنا مما سبق ومما ورد في أهداف اللجنة الأمنية ”في اللائحة الأمنية“ أنها تغطي مساحة لا تغطيها اللجان الأخرى التي سبق ذكرها.

تقوم اللجنة بواجبها، وتحقق أهدافها بالوسائل سالفة الذكر ذاتها، والتي تستخدمها لجان العمل الثقافي؛ من نشرات، ومحاضرات، وندوات، وإصدار دراسات، وكافة الوسائل المتاحة بين يدي الأسرى. وإن كانت اللجنة تميل إلى الحذر والتحفظ في إبراز اسمها، وتسعى أحياناً إلى العمل تحت أسماء لجان أخرى، بسبب

³ اللائحة الأمنية المعدلة للهيئة القيادية العليا لأسرى حركة حماس في السجون، 2008.

كون مصلحة السجون وجهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) Israel Security Agency—ISA (Shabak) يلاحق العمل الأمني والعاملين فيه، ويحاسب عليه، باعتباره يُعيق عمله وجهده في الحصول على المعلومات، وإسقاط ضحاياه، وحربه للمقاومة.

بهذه اللجان الخمسة المركزية تكتمل عناصر العمل الثقافي، وتعاونها في أداء مهامها، وتغطي كامل المساحة المطلوبة، وتحقق الأهداف المرسومة.



ثانياً: مصادر الثقافة لدى الأسرى:

يتلقى الأسير في سجنه ثقافته من مصادر محدودة بحكم المنع والتضييق الذي يمارسه الاحتلال بحقه. فهو لا يملك الكثير من الخيارات لينتقي من بينها؛ فليس لديه أي وسيلة إلكترونية يستطيع عبرها الدخول إلى الإنترنت، وتصفح المواقع العلمية والإعلامية والثقافية، ولا يملك الكمبيوتر وما يحويه من موسوعات وإصدارات ووسائل تعليمية، وليس لديه وسائل التواصل التي تعينه في الوصول إلى احتياجاته وتساؤلاته، وليس لديه الحق باستدعاء الخبراء والعلماء والمختصين؛ ليعلموا ويحاضروا ويقدموا ما يطلبه ويحتاجه، وليس لديه خيارات ليلتحق بالجامعة التي يرغب، أو المعهد التعليمي الذي يعقد الدورات في العلوم والفنون والمعارف. فوق ذلك فهو مقيد في وسائله التي يملكها، والتي سنعرضها، فهو ليس مطلق اليدين فيها، فإن كان الكتاب مصدر ثقافته الأول؛ فإنه مقيد في إدخاله إلى السجن، فليس مسموحاً له أن يدخل كتاباً يحوي "تحريضاً" بنظر سجنائه، وليس له أن يدخل العدد الذي يطلبه



من الكتب، وإن أدخل كتاباً فهو ملزم بإخراج غيره حتى يكون عدد الكتب في السجن ثابتاً. وإن كان التلفاز مصدراً آخر لثقافته، فإن القنوات التي تسمح إدارة السجون الصهيونية فيها محدودة في عددها، محددة في طبيعتها وأسمائها، وليس كل ما يطلبه الأسرى منها مسموح به، وهَلْمُ جَرّاً.

وهكذا، فإن مصادر الثقافة لدى الأسرى محدودة جداً، إلا أنها تتمتع بعوامل مساعدة تجعل منها صاحبة تأثير يفوق أي مكان آخر؛ مما يجعل الأسرى يستفيدون منها أكثر مما يستفيد منها عموم الناس، وإليك هذه المصادر:

1. الكتاب:

تُشكّل المكتبات مرفقاً أساسياً في حياة الأسرى، ويمثّل الكتاب مصدر الثقافة الأول في واقعه. فإن كان الكتاب خير جليس للناس عموماً، فهو بحق الأسرى أشدّ وأكثر، فهو الذي يُخرج الأسير من وحدته، ويعينه في مواجهة عزلته، ويوفر له المادة المفيدة للملئ وقته، ويزوّد بالعلوم المختلفة التي تُعنيه في أمر دنياه وآخرته.

ويمكننا القول إنك لا تكاد تجد أسيراً لا يملك في حقيبته كتاباً أو أكثر، ففي عنق كل أسير دين للكتاب. فما من أسير إلا قضى مع الكتاب وقتاً، وتلقّى عنه علماً، لذا فإن له حضور في حياة كل أسير بشكل شخصي، بالإضافة إلى الحضور الجماعي العام.

كما أن للكتاب حضور في برامج التنظيمات، فكما أننا قلنا إنك لا تكاد تجد أسيراً لا يملك كتاباً، فإنك لن تجد سجنًا واحداً، أو قسماً في سجن إلا ويحوي مكتبة عامة.

فالكتاب حاضر في البرامج الثقافية العامة، تحتّ التنظيمات عناصرها على قراءته، ويوزعونه عليهم ويستقون منه الكثير من المساقات والمحاضرات والدورات التي يقدّمونها، ويعملون على توفيرها، ما أمكن، في المكتبة العامة لكل سجن. وقد ضمّنت معظم التنظيمات، ومنها حركة حماس، ساعة مطالعة إلزامية ضمن البرنامج الثقافي دفعاً للأعضاء نحو الكتاب.

لقد كانت الكتب ممنوعة في السجون في مراحلها الأولى، ثم تمكّن الأسرى من فرض توفيرها عبر الخطوات الاحتجاجية والتصعيدية، فبدأت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بإدخال الكتب، فلم تكن كتباً نوعية، بل تكثُر فيها الروايات والقصص، والكتب الأدبية والفلسفية، ثم تلك التي تتحدث عن الفكر الشيوعي.

في تلك الحقبة لم يكن للإسلاميين تجمّع منظم، بل كانوا أفراداً متواجدين تحت إطار التنظيمات الأخرى، وخصوصاً حركة فتح. ثم تمكنوا في العام 1976/1977 من تشكيل الجماعة الإسلامية بعد سلسلة معارضات ومواجهات وممانعة من التنظيمات القائمة المتواجدة في الساحة الاعتقالية، في مواجهة شملت كل المجالات، ومنها الجانب الفكري.⁴ فحاربوا الكتاب الإسلامي، بالرغم من ندرته، وأحرقوا كتباً ألّفها مفكّرون إسلاميون يُحسبون في نظرهم "محرّضون" أو "هجوميون"، كأمثال الشيخ سعيد حوى، والشهيد سيد قطب.⁵

بعد أن تشكلت الجماعة الإسلامية بدأ عناصرها بتوفير كتب خاصة، وشكّلوا مكتبات متواضعة داخل غرفهم تحوي مثل هذه الكتب، فكانت بعد كتاب الله زاهم في فهم أحكام الشريعة الإسلامية، والتعرف إلى الفكر الإسلامي الأصيل. حتى قابلنا منهم من كان يحفظ صفحات ومقاطع طويلة من هذه الكتب، وأقوالاً لمؤلفيها، وسمعنا منهم كيف أنهم تربوا على موائدها، واستقوا مما جاء فيها، فأسهمت في صقل شخصياتهم، وبناء فكرهم ومفاهيمهم.

لا شك أن الكتاب شكّل في حياة الأسير رمزاً وأثراً بالغاً، لكننا لا ننكر أن الاهتمام به قلّ وضمّغ مع ضعف ثقافة الأسرى، واختلاف طبيعتهم مع مرور السنين. فمقياس الثقافة لدى المرء هو مقدار قربته من الكتاب وعموم وسائل التثقيف. وقد بات ثابتاً لدينا أن البعد والخصومة والجفاء ازدادت تبعاً بين عموم الناس والكتاب الثقافي، بالرغم من أن مقدار الكتب التي باتت تتوفر لدى الأسرى ازدادت، وأصبح هناك العديد من المؤسسات ومراكز الدراسات جاهزة لتزويد السجون بما يطلبونه من كتب، بالإضافة إلى ما يسمح للأسير بأن يدخله عن طريق أهله بشكل خاص.

وقد ظهر عدم الاهتمام بالكتاب جلياً من خلال مكتبات السجون شكلاً ومضموناً، فقد كان الاهتمام بالمكتبات على أعلى مستوى، يُفرز لها أخ متميز بثقافته وقدرته ودوره، تفرّغ لأداء مهمته. أما المكتبات فتتزين بما توفر من كتب ومراجع، مبوّبة

⁴ بلال محمد شلش (محرر)، سيدي عمر: ذكريات الشيخ محمد أبو طير في المقاومة وثلاثة وثلاثين عاماً من الاعتقال (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2017)، ص 86.

⁵ سمعتها من الشيخ محمد أبو طير، أبو مصعب، الذي شهد الأحداث بنفسه.



ومصنفة ومرتبة. فإذا نظرت إلى سجل الإعارة تجده يحفل بعشرات الاستعارات اليومية، فتعلم أن الإقبال على الكتب بخير.

أما اليوم، ونحن شهود على ذلك، أصبح الاهتمام بالمكتبات العامة ضعيفاً، يفرز لها أخ حظه من العلم والخبرة محدود، لا يعطي للمكتبة إلا القليل من وقته، لا يجد تشجيعاً من التنظيمات، ولا يرى إقبالاً من عموم الأسرى. حتى أنك لا تكاد تجد سجل إعارة، فإن وجد فهو غالباً يعاني من قلة الزوار.

ومع قلة الزوار، وضعف الاهتمام إلا أن ذلك لا يقلل من شأن المكتبة، ولا يلغي دور الكتاب، فما زال الكتاب جزءاً من حياة الأسير، ورفيقاً له في سجنه، وجليسه على فراشه. وما زال مشهد الأسير يغفو وعلى صدره كتابه يتكرر أمامك فتسعد لرؤيته. ولا تتخيل واقع السجون دون كتاب، مهما اختلفت طبيعة الأسرى، أو ضعفت ثقافتهم، أو تشتتت اهتماماتهم، ومهما تراجع واقع الحال خارج السجون أو داخلها.

ويتبع الكتاب ما يصدره الأسرى من دراسات وأبحاث توضع في كراسات مخطوطة بأيديهم، يغلب عليها الطابع الأمني والحركي والتوثيقي، بالإضافة إلى الإنتاج الأدبي ومواضيع أخرى. هذه الكراسات لا يخلو منها سجن من السجون، يحتفظ كل تنظيم بما يصدر أبنائه منها، ويمرره على عناصره لقراءتها ويُدْرَسُهم بعضها.

2. التلفاز:

التلفاز إحدى أهم الإنجازات التي استطاع الأسرى تحقيقها عبر الجوع والعرق والخطوات النضالية.

فهو الوسيلة الأبرز التي تبقّهم على صلة بالخارج، وعلى اطلاع على تطورات العالم وأحداثه وجديده. فالعالم يتطور بتسارع مجنون، وتستجد فيه الأحداث والمعلومات لحظياً، والأسير في زنزانتة وغرفته منفصل عن هذا المسار تماماً، بعيد عنه، مغيب عن تفاصيله. فتأتي أهمية التلفاز للاطلاع على جزء من ذلك كله، ومعرفة بعضه.

ولعل القارئ لا يتفاجأ إن قلتُ إن الأسير الذي يقضي من عمره سنوات طوال بين جدران السجون، وفي غياهب الاعتقال، حينما يخرج من سجنه فإنه يجد نفسه

مصعوقاً بالتغيرات، مذهباً بجديد العلوم والاختراعات، فيجد صعوبة في التأقلم مع ما يراه. ولولا أنه يملك نافذة صغيرة "هي تلفاز" يُطل منها على مقتطفات من ذلك التطور، وينظر إلى زوايا منه، لكان كأصحاب الكهف بعد استيقاظهم، بل لعله سيزيد عنهم ذهباً.

من هذه الأهمية جاء تصنيفاً للتلفاز على أنه أحد مصادر الثقافة الرئيسية الثلاثة، فهو يغطي زاوية لا تغطيها المصادر الأخرى إلا بشكل محدود ويمنح ثقافته بأسلوب أكثر تشويقاً من الأساليب الأخرى، ويمكنه أن يخاطب الجميع، وخصوصاً قطاعاً من الأسرى ثقافتهم محدودة، وعلاقتهم بالكتاب مقطوعة، ولا يناسبهم أسلوب التلقين؛ هذه الفئة تناسبهم ثقافة التلفاز أكثر من غيرها، بالإضافة إلى مناسبتها جميع الأسرى.

وهو بالإضافة إلى ذلك يحقق هدفاً آخر ذو أهمية قصوى في حياة الأسير، وهو هدف الترفيه، فكما أن الطعام غذاء الجسم، والثقافة غذاء الفكر، فالترفيه غذاء لنفسية الأسير، بالإضافة إلى الغذاء الرئيسي للإنسان المسلم وهي الصلة بالله عز وجل. فالتلفاز يحوي برامج ترفيهية مفيدة وغير مفيدة، كالأفلام والمسلسلات والمسابقات وبرامج التسلية المتنوعة، بالإضافة إلى البرامج الثقافية والعلمية والإخبارية.

ولأن الأسير يدرك أهمية التلفاز في حياته فقد بدأت المطالبة به مبكراً منذ حقبة السبعينيات إلا أن الاحتلال رفض هذا المطلب، وأصرّ على رفضه، وخاض الأسرى إضرابات وخطوات لم يتحقق لها مطلبهم. حتى كان إضراب سنة 1984 الذي قاده أسرى سجن جنيد في مواجهة وزير الشرطة الصهيوني حاييم بارليف Haim Bar-Lev، فحققوا خلالها إنجاز الراديو والتلفاز. ومع ذلك فقد ماطلت بعض إدارات السجون في إدخال التلفاز مما اضطر الأسرى إلى خوض إضراب آخر سنة 1986 لاستكمال إنجازات الإضراب السابق، فكان لهم ما أرادوا. أما المعتقلات فقد تأخر إدخال التلفاز إليها لتأخر إنشائها أصلاً، ولخضوعها لظروف خاصة تختلف عن السجون المركزية.

لقد أدركنا المعتقلات في نهاية الثمانينيات ومطلع التسعينيات دون أن يسمح جيش الاحتلال، الذي كان يديرها، بإدخال التلفاز. ولما سمح بذلك علّقها على أعمدة في خيام الأسرى داخل صناديق معدنية مغلقة، بحيث لا يتمكن الأسير من التنقل بين المحطات، أو رفع الصوت أو خفضه، أو حتى إطفاء الجهاز أو إشغاله. إنما تقوم إدارة السجن



في ساعة محدودة بتشغيل أجهزة التلفاز مركزياً، وتضع على القناة التي تختارها، والبرنامج التي تريد للأسرى أن يتابعوه، ثم في ساعة محدودة تطفئ، إدارة السجن، الأجهزة كما شغلتها. ورويداً رويداً تحسنت الظروف، وأخرج التلفاز من صندوقه، وأصبح واقع التلفاز على ما هو عليه الحال.

إلا أن هناك أمراً غاية في الأهمية يعاني منه هذا المصدر الثقافي الترفيهي المهم، وهو تحديد القنوات التي يسمح للأسرى بمشاهدتها، فالتلفاز جهاز جامد، روحه فيما يبثه من برامج وتقارير، هذه البرامج عادةً تتبع سياسة القناة التي تبثها، وهنا تدخلت مصلحة السجون تدخلاً سافراً، أفرغ التلفاز من جزء كبير من مضمونه الثقافي والتعبوي.

فلو أردنا أن نعرض أسماء القنوات التي تبث حالياً (لحظة كتابة هذه السطور سنة 2013) في سجن شطة نموذجاً، لأدركت المعنى الذي ذهبنا إليه؛ هذه القنوات هي: إسرائيل الأولى، وإسرائيل الثانية، وإسرائيل العاشرة، وأم بي سي 4 - Mbc4، وروتانا سينما، ودبي الرياضية، وأم بي سي 1 - Mbc1، وناشيونال جيوغرافيك National Geographic، والعربية، وفلسطين.⁶

هذه هي القنوات العشرة التي فتحتها إدارة السجن للأسرى، ستجد أنها في غالبها إما ترفيهية أو موجهة؛ ترفيهية كقنوات الأفلام والمنوعات، وموجهة كالقنوات العبرية فيها بعض الفائدة لكنها تبقى ضئيلة إذا ما قورنت بغيرها. فقد كانت قناة الجزيرة مثلاً متوفرة في السجن قبل حرب الفرقان في غزة سنة 2008، فكانت مصدراً إخبارياً وتثقيفياً مهماً، يحوي الكثير من التغطيات والتقارير والبرامج الإخبارية والسياسية والفكرية الهادفة. وبسبب تغطيتها الحية لحرب الفرقان وأحداثها ومشاهدها المؤلمة، فقامت مصلحة السجون الصهيونية بمنعها في كافة السجون، ولم تفلح كل المحاولات في إعادتها بما في ذلك إضراب سنة 2012.

فإذا علمت أن هذه القنوات وغيرها من القنوات التي تتمتع بمصداقية وقبول، محظورة على الأسرى، أدركت أن التلفاز يفقد جزءاً مهماً من دوره.

⁶ منذ سنة 2014 تمّ معاقبة أسرى حركة حماس، وسحبت منهم مصلحة السجون خمس سنوات، وما زالت حتى انتهت من إعداد هذا الكتاب سنة 2023، لا تسمح لهم إلا بخمس قنوات فقط، ومن ضمنها قناة عبرية إلزامية.

وخلاصة القول، وبالرغم مما سبق فإن التلفاز إحدى العلامات الفارقة في حياة الأسير، وفي تشكيل ثقافته، وفي ملء وقته. فهو ولا شك سلاح ذو حدين؛ قيم لمن أحسن التعامل معه، واجتهد في الانتقاء مما فيه، واقتنص المفيد منه، واقتصد في قضاء وقت الترفيه عليه، وهو سلبي لمن ترك لرغباته أن تحركه مع ما يحتويه من توافه وخروج عن مكارم الأخلاق، أو أعطاه من وقته ما يذهب به جزءاً مهماً من حياته هدراً فيما لا طائل منه أو جدوى.

3. الكادر الثقافي:

الإنسان في السجون مجتمع متنوع متعدد العناصر، مجتمع يحوي التنوع المجتمعي الفلسطيني، ففيه الأمي والمتعلم، وفيه ضل الثقافة والمتوسط والمتميز بعلمه، وفيه من لا يملك أي شهادة تعليمية ومن يملك من الشهادات العليا حتى درجة البروفيسور.

ومن زاوية أخرى، فإنه مجتمع يحوي تنوعاً في الخبرات والكفاءات؛ ففيه الكادر التنظيمي والسياسي، والكادر الثقافي والتعليمي، والكادر الإداري والوظيفي، وفيه صاحب التجربة العسكرية الجهادية، وصاحب التجربة النقابية الطلابية، وصاحب التجربة التنظيمية الحركية، وصاحب التجربة الأمنية المقاومة، وصاحب التجارب الحياتية والزراعية والأكاديمية.

هذا التنوع يشكلُّ للأسير مصدراً خصباً وثيراً، يُمكن أن يفيد ويخدمه ويقدم له التنوع المفيد والمطلوب.

فإذا كان الأسير من محبي الثقافة الوطنية والتنظيمية والفكرية والسياسية، فالسجن يزخر بقيادة الفصائل، بدءاً من أمناء عامين لتنظيماتهم، ومروراً بأعضاء مكاتب سياسية، ووصولاً إلى قادة ميدانيين. وهؤلاء خير من يمكنه أن يشرح الفكر التنظيمي، ويوضح الهيكلية واللجان، ويقصّ تفاصيل وأحداث للمرحلة التي عاشها وعمل فيها. وإن كان من طلاب العمل الجهادي والعسكري، أو التثقيف الأمني والوقائي، فالسجن خير مكان يغرس في النفوس هذه الثقافة. ولن تجد تجمّعاً لمجاهدين ومناضلين شاركوا في الأنشطة العسكرية الجهادية، الناجحة والفاشلة، والعمل الأمني فتشربوه عملاً وممارسة، فأصبحوا بذلك الأقدر على شرح الفكرة والكتابة عنها ونقلها إلى الآخرين، وتثقيف الراغبين بجوهرها، وبشكل جريء مثل الأسرى، وخصوصاً ذوي الأحكام المؤبدة.



وإن كان الأسير إسلامياً يهتم بالثقافة الشرعية على اختلاف محاورها الفقهية والفكرية والقرآنية والتاريخية... فالكثير من أئمة وخطباء الحركة الإسلامية، وعلماء الشريعة من حملة الشهادات العليا، والمحاضرين في كليات الشريعة يعتقلون تبعاً، وخصوصاً في الاعتقال الإداري، بالإضافة إلى ذوي الأحكام العالية. هذه الشريحة جاهزة على الدوام لتقديم ما لديها من علوم شرعية، وأدت واجبها في السجون عبر خطب الجمعة والكتابة والمحاضرات والحوارات الفردية والجماعية.

وهكذا يمكنك أن تتحدث عن الثقافة الأكاديمية، والفلسفية، والأدبية، والتاريخية، وكل أشكال الثقافة التي يحتاجها ويطلبها الأسير داخل سجنه.

إذاً فالكادر الثقافي للأسير مصدر رئيس من مصادر الثقافة الاعتقالية، يتلقى عنه الأسير بشكل فردي بالمخالطة والحوار والنقاش الثنائي، كما يتلقى عنه من خلال البرامج الثقافية العامة والتي يشكل الكادر فيها حجر أساس لا غنى عنه، بل إن معظم الكراسات الثقافية التي تصدرها التنظيمات في السجون يعدّها ويكتبها هذا الكادر من خبرته وتجربته وما يملكه من معلومات وأفكار أو من خلال المراجع التي تتوفر لديه في السجون.

وأكد أجزم أن مجرد العيش مع هؤلاء النماذج والقادة والمفكرين يمنح الأسير علماً ومعرفة وخبرة، ويمنحه قدرة ترفع مستواه الثقافي والفكري والتربوي. هذه العناصر الثلاث هي المصادر الرئيسية في البناء الثقافي في السجون.

يضاف إليها عددٌ من المصادر الثانوية، والتي وإن كنا لا نغفل عنها، إلا أنها تمثل مصادرَ فرعية لا يعتمد عليها الأسير، ولا يأخذ عنها إلا جزءاً يسيراً من ثقافته وفكره، ومنها:

1. الصحف:

على اختلافها، عربية وعبرية وإنجليزية. فقد اعتاد الأسرى أكثر من أي جهة أخرى على الاشتراك في الصحف العبرية اليومية، وخصوصاً يديعوت أحرونوت Yedioth Ahronoth، ومعاريف Maariv، وأحياناً هآرتس Haaretz. وذلك لمعرفةهم باللغة العبرية، حتى باتوا أكثر المتابعين لهذه الصحف من أبناء الشعب الفلسطيني.

وهذا زوّدهم بثقافة خاصة هي الاطلاع على المجتمع الاحتلالي من الداخل، ومعرفة اهتماماته، وإشكالاته، وصناعاته، واقتصاده، ومواطن قوته ونقاط ضعفه، فكان الاشتراك في هذه الصحف لازماً لجميع السجون دون استثناء.

وكذلك يقاس الحديث على صحيفة الجيروزالم بوست The Jerusalem Post التي تصدر باللغة الإنجليزية، وإن كان الاشتراك والاهتمام بها ضعيفاً ومحدود النطاق.

أما الصحف العربية، فصحيفة القدس هي الصحيفة اليومية شبه الوحيدة التي لازمت الأسرى سنين طوال، إلا أن الاحتلال منعها عن أسرى حركة حماس، بعد أسر الجندي الصهيوني جلعاد شاليت Gilad Shalit بحجة أن الأخير لا تصله الصحف، فأصبحت تصل السجون بصورة غير منتظمة، حتى عادت لتصل الأسرى بشكل رسمي ومنتظم سنة 2013 بعد أن ثبتها الأسرى في إضرابهم الشهير، إضراب الكرامة.

شكّلت هذه الصحف مصدراً معرفياً للأخبار المحلية بشكل أساسي، خصوصاً أنها تصل متأخرة عن تاريخ صدورها أياماً، وبالتالي لم تكن تصلح للأخبار الساخنة والعالمية.

وقد استقبل الأسرى، بشكل متقطع، بعض الإصدارات الأخرى كصحيفة صوت الحق والحرية التي تصدرها الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر، ومجلة ناشيونال جيوغرافيك وغيرها، ولكنها بقيت جميعها في أضيق نطاق، ولذا لا يمكن أن نعدّها مصدراً أساسياً في الثقافة.

2. الراديو والشريط:

استطاع الأسرى فرض إدخال الراديو إلى السجون كما فرضوا إدخال التلفاز، وقد أدركنا أياماً كانت سماعة مركزية مثبتة في ساحة السجن، تبثّ نصف ساعة من "راديو إسرائيل" صباحاً، ومثلها في المساء، ثم دخل الراديو الشخصي إلى السجن ليتمكن كل أسير من شرائه من "الكنتين". وأصبح الأسرى يتابعون عبره بعض البرامج الإخبارية، والحوارية، والثقافية، بالإضافة إلى الترفيهية، من الإذاعات المحلية والعالمية. وكذلك الحال ينطبق على الشريط والأسطوانات التي تحوي الدروس والخطب إضافة للقرآن والنشيد والأغاني. ولكن لقلة الأشرطة المتوفرة،



ومنع إدخال أي جديد منها، بل ومنع جميع الأسطوانات، غير الأغاني، منذ سنوات، جعلت الاستفادة من هذا الإنجاز ثقافياً غير ذي جدوى.

من هذه المصادر تتشكل ثقافة الأسير، ويبنى فكره، فيخرج معظمهم من سجنه بغير ما دخل به من ضحالة في الثقافة، وسطحية في المعرفة.

ثالثاً: آليات تلقي المعرفة:

تقوم آليات المعرفة على أمرين:

الآلية الأولى: البرنامج التنظيمي:

فقد اجتهد كل تنظيم وطني وإسلامي متواجد في السجون في إعداد برامج ثقافية وتربوية تتناسب مع أهدافه، فتربى عناصره على فكرة وعقيدة، وتحمل إليهم معتقداته ومبادئه، وترفع مستواهم الثقافي والفكري والأمني.

وقد تسابقت التنظيمات قديماً في قوة برامجها، وكثافتها، ونوعيتها حتى كانت السجون تُعدّ بحق جامعات تعليمية، يتلقى فيها الأسير يوماً ثلاث محاضرات مختلفة، بالإضافة إلى الواجبات الفردية، والتعليمات التنظيمية، والمسابقات الثقافية والترفيهية. ثم بدأت هذه البرامج تضعف شيئاً فشيئاً مع اختلاف نوعيات الأسرى القادمة إلى السجون، ثم كان التغيير جذرياً في برامج بعض التنظيمات، وخصوصاً حركة فتح، بعد عملية "السلام" وتحديداً بعد اتفاق أوسلو، وأصبح أسراها يعيشون فترة انتظار وترقب للإفراج حتى تعطلت البرامج الثقافية بشكل شبه كامل، وتأثرت باقي التنظيمات بهذا التراجع بنسب متفاوتة، وإن بقيت محتفظة بقدر متقدم عما أصبحت عليه حركة فتح.

هذا البرنامج هو ما نتحدث عنه في دراستنا، وما يحتويه من فقرات وأنشطة وأساليب ووسائل كالمحاضرة، والدورة، والبيان والنشرة، والمسابقة، وعشرات الأنشطة الأخرى، والتي تعتمد بمعظمها على المصادر التي ذكرناها، وأهمها الكادر التنظيمي الذي يدرس ويعلم ويسطر.

الآلية الثانية: الجهد الشخصي:

يبقى المستوى الثقافي للمجاهد ضعيفاً ما لم يكن لديه دافع ذاتي، وجهد شخصي في طلب العلم وبناء الثقافة، فالبرامج التنظيمية تعطي الحد الأدنى، وتمنح المفاتيح التي تساعد على الانطلاق، إلا أن الجهد الفردي هو الذي يحقق المطلوب، ويبني الثقافة، وبقدر هذا الجهد يتميز الأسير بعلمه عن غيره، ويتقدّم الفرد على إخوانه وزملائه.

والجهد الشخصي يعتمد أساساً على المطالعة وقراءة الكتب والدراسات، ولكنه يستفيد كذلك من المصادر الثقافية الأخرى وخصوصاً أصحاب العلم والخبرة، والالتحاق بالدورات الاختبارية التخصصية التي تكثر في السجون، وباستكمال النقص الذي يراه المجاهد عنده، وانتقاء المفيد من برامج التلفاز والصحف ووسائل التثقيف المتوفرة.

رابعاً: المحاور الثقافية لحركة حماس في السجون:

تسعى قيادة الحركة ومسؤولي العمل الثقافي في السجون إلى جعل المناهج الثقافية للحركة شاملة، تغطي عموم المحاور الثقافية والفكرية، إلا أن ذلك لم يتحقق بقدر كافٍ، وإن اقترب فيه، ولذا فإن اللجان الثقافية للحركة في السجون تركز على محاور ثلاثة، ثم تتعداها بقدر قليل نحو الشمول، وسبب ذلك هو اجتهادهم في التركيز على الأولويات الثقافية، واختيار المهم على الأقل أهمية، ثم يكون التوسع والشمول لمن أراد ولمن تميّز.

أما أهم المحاور التي تسيطر على ثقافة الحركة في السجون، فهي: الثقافة الإسلامية، وثقافة المقاومة، والثقافة الحركية.

إلا أن اعتماد الدراسة الجامعية في السنوات الأخيرة، جعل محور الدراسة الأكاديمية أساسياً في ثقافتنا، وخصوصاً إن علمت أن قرابة ربع أسرى حماس مشتركين بأحد هذه المناهج الأكاديمية. إلا أن الدراسة الأكاديمية لا تدخل ضمن الثقافة الخاصة بالحركة، ولذا فلن نفرد لها محوراً خاصاً، وسنكتفي بالإشارة إلى المحاور الثلاثة سالفة الذكر.



1. الثقافة الإسلامية:

أكثر ما يميّز البرامج الثقافية لحركة حماس في السجون الصيغة الإسلامية التي تظهر في كل جنباته، وتدخل في كل جزئياته، شأنها شأن الجماعة الأم، الإخوان المسلمون، وشأن الحركة في كافة مواقعها وقطاعاتها. فإذا نظرت إلى المنهاج وما يحويه من مشاريع، وخطط، ومواد اختيارية، وكتب مقدمة وإلزامية ستجد أن معظمها ذو صيغة شرعية. فبرنامج الحد الأدنى في بنوده الثلاثة الأولى؛ حفظ أجزاء من القرآن الكريم، وتعلم أحكامه، وحفظ الحديث الشريف، وفي بند المساقات العشرة الإلزامية، منها ست مساقات في العلوم الشرعية.

وفي البرنامج اليومي نجد جلسة القرآن اليومية، وقراءة المأثورات، بالإضافة إلى المواعظ والمحاضرات الشرعية. وبرنامج الأسر التربوية؛ برنامج تربوي روحاني بحث من مبدئه إلى منتهاه. ولجنة مركز النور؛ إسلامية المنهاج بكل جزئياتها وأنشطتها. وجامعة الصديق "المقترحة"، فيها 12 مساقاً إسلامياً من أصل 22. وفي قائمة المساقات المقترحة؛ 17 مساقاً إسلامياً من أصل 28 مساقاً. و16 محاضرة إسلامية مقترحة، من أصل 35 محاضرة. ومنهاج الشمائل منهاج ثقافة إسلامية بامتياز، بستة محاور من أصل سبعة. وفي قائمة الكتب بضع وخمسون كتاباً إسلامياً من أصل 75 كتاباً.

هذه الأرقام صارخة بحقيقة المنهاج ووجهته وأهدافه. أضف إليها الكثير من البرامج التربوية العملية؛ كصلاة الجماعة، وقيام الليل، وأوراد الذكر والدعاء، وتلاوة القرآن.

أما باقي المحاضرات والمساقات والدورات والبرامج، وإن كانت بعناوين أخرى مختلفة، إلا أن اللمسة الإسلامية، والصياغة الدعوية حاضرة فيها، سواء كانت حركية أم تاريخية أم فكرية.

وعليه، فإن الثقافة الإسلامية هي السمة الأبرز، والموضوع الأهم الذي يحتل المساحة الأوسع من ثقافة الحركة في سجون الاحتلال، والمحور الذي تدور في فلكه غالبية المواضيع والمحاور الثقافية الأخرى.

2. ثقافة المقاومة:

ثقافة السجون تخاطب شريحة تجتمع في المكان ذاته على قاسم مشترك أساسي وهو الاشتراك في مقاومة الاحتلال الصهيوني. فهي شريحة مناضلة مجاهدة، الهم الوطني العام جزء أساسي مما يشغل فكرها ووقتها وجهدها.

هذه الشريحة هي الأكثر استهدافاً من عدوها الصهيوني، لأنها هي التي تستهدف كيانه ووجوده. فالاحتلال يخطط دائماً لاستهدافها وضربها حينما كانت... في ميادين المقاومة، وفي دهاليز المطاردة، وفي أقبية التحقيق، وفي ساحات السجون.

لأجل هذا وذاك كانت المقاومة حاضرة بقوة في حياة الأسير، وبالتالي في ثقافته. فكل حدث وكل مسمى أو مصطلح يطلقه الأسرى في واقعهم يذكر بالمقاومة، فهي حاضرة بشقيها: التحريضي التعبوي، والتعليمي التوجيهي.

فثقافة الأسرى توثق تاريخ المقاومة عبر توثيق أعمالها بشكل شخصي أو جماعي، وتحلل أعمالها وأنشطتها لتكشف نجاحاتها وإخفاقاتها، وتوجه المجاهدين والمقاومين إلى سبل المقاومة المثالية وكيفية الوقاية من كيد اليهود، وتحريض أبناء الشعب على سلوك درب الجهاد والمقاومة، والالتحاق بركب المجاهدين والمناضلين لتحرير هذه الأرض.

فهي توثق وتحلل وتوجه وتحرض، ثم تصوغ ذلك كله على شكل نشرات ومحاضرات ودورات وإصدارات يتم نشرها هنا وهناك. ولك أن تلقي نظرة إلى إصدارات الأسرى، لتدرك بجلاء أن المقاومة بكل تجلياتها شكلت القاسم المشترك فيها سواء تلك المتخصصة بالمقاومة، أم حتى الأدبية الروائية والشعرية والنثرية.

من يعيش حياة السجن يدرك معنى حضور المقاومة في ثقافتنا الأسيرة، فهو يجد المسميات تحريض على المقاومة قبل أن يدخل مضمونها.

فالبيان يسمى "تعميم نضالي"، والغرفة تسمى "خلية"، والقسم يسمى "كتيبة"، والسجن يسمى "قلعة". أما المضمون فحدث ولا حرج، فهو يحرض بكل جزئياته، حتى أصبح سمة ثابتة في ثقافة وأدب وفكر وإصدارات التنظيمات في السجون.

وإن ألقينا نظرة على "المنهاج"، فالمقاومة وثقافتها فيه حاضرة، فمساق فقه الجهاد، وكراس مقدمة في الأمن، والمساق الأمني، جميعها مرفقة في الشق الإلزامي الواحد على كل مجاهد أن يمر به، وهي من صميم ثقافة المقاومة التي تعبئ وتحرض وتوجه.



وعشرات المحاضرات الجهادية المقاومة من بين المحاضرات المقترحة، ناهيك عن المساقات والدورات والكتب المنتقاة المرفقة في الخطة.

3. الثقافة الحركية:

السجون خير مكان لتأطير العناصر وتنظيمها وتعبئتها، وأكثر المواقع عناية بعرض الأفكار والمبادئ والمفاهيم الحركية للتنظيمات الإسلامية والوطنية.

فالتنظيمات الأسيرة تفتنم فرصة تواجه أي من عناصرها داخل السجن لتعمل على تعبئته وتثقيفه بالفكر الحركي، فتبدأ بتدريسه تاريخ الحركة، ومبادئها ومركزاتها، ومواقفها من الأحداث والمستجدات فتزداد قناعته بحركته. وينتقل العضو "النصير" ليصبح عضواً ملتزماً، مجاهداً، والعضو الملتزم إلى عضو فاعل، ومن ثم إلى كادر صاحب كفاءة وقدرة على تحمل المسؤولية.

يساعد على القيام بهذا الدور عوامل عدة متوافرة في السجن:

- وجود القادة والكوادر أصحاب المعرفة بهذا الفكر والتاريخ، بل أحياناً كتبته وصنّاعه، فهم أقدر الناس على سرده وعرضه، وشرحه وإنصافه، ونقله إلى الأجيال.
 - وجود دراسات وكراسات ومخطوطات كُتبت خصيصاً في السجن لهذا الغرض، كتبها أفواج الكوادر والقادة الذين عاشوا في السجن على مدار العقود السابقة. هذه الدراسات أُخرج جزء منها خارج السجن، وبقيت أجزاء أخرى لم تخرج، نتيجة التقصير، على الرغم من قيمتها وأهميتها فلم يطلع عليها إلا من زار السجن.
 - وعامل يساعد في بناء هذه الثقافة، هو عدم الخشية لدى المدرسين والطلاب على حدّ سواء؛ من عقد حلقات وندوات ودراسات لدراسة وتلقي هذه العلوم. ففي خارج السجن قد يخشى المجاهد من حضور مثل هذه اللقاءات، خصوصاً إن كانت كثيرة العدد، كما يخشى المدرس أو المسؤول من القيام بدور التدريس بشكل مكشوف، لأنه يشكل تهمة ومبرراً لاعتقاله لدى أجهزة الاحتلال وأجهزة السلطة الفلسطينية.
- وبالعودة إلى "المنهاج" سنجد كمّاً للثقافة الحركية حضوراً في البرامج الثقافية للتنظيم؛ بدءاً من مشروع الحدّ الأدنى الذي يحوي إلزامية قراءة كراس نشأة حماس، وشرح ميثاق الحركة، واللوائح التنظيمية، وحضور ثلاثة مساقات حركية من أصل عشرة مساقات إلزامية.

وفي نظام الأسر، فإن "فقه الدعوة" فقه حركي حاضر في جميع المستويات، يدعمه كتب حركية معتمدة تراها في الخطة التي بين يديك. وفي المساقات المقترحة خمس مساقات حركية من أصل 28. وفي المحاضرات عشرة عناوين من أصل 35 عنواناً. وفي أسماء الكتب المقترحة في الخطة أكثر من عشرة مراجع حركية. فالثقافة الحركية حاضرة بشكل لافت في "المنهاج" والبرامج الثقافية لحركة حماس في السجون حتى كانت إحدى سمات هذه الثقافة.

بعد عرض هذا المحاور الثلاثة الرئيسية، تبقى محاور "ورتوش" ثقافية متفرقة، بعضها لا يرقى لاعتباره محوراً. أهمها محور "فلسطينيات"، الذي يحوي المساق الإلزامي "القضية الفلسطينية"، ومساق "أحزاب فلسطينية"، وبعض المساقات والمحاضرات والكتب المقترحة، و"أجندة التواريخ الفلسطينية" التي تخدم هذا المحور ومحور المقاومة.

وغير ذلك فهو غير ملزم، معظمه تحت بند الدورات الاختيارية، وأهمها تعليم اللغة العبرية، وقواعد اللغة العربية، وبعض العلوم الإنسانية؛ كالبرمجة العصبية والتنمية البشرية... والصورة تزداد وضوحاً بامعان النظر في "منهاج النهضة" الذي بين يديك.

خامساً: إنجازات:

من الظلم أن نختزل عشرات السنين من العمل الثقافي المتواصل، والإنجازات الكبيرة التي تحصلت، وعشرات آلاف الأسرى الذين مروا بالتجربة فاستفادوا منها... ثم نختزل ذلك كله في صفحة أو اثنتين من كتاب.

فعلى مدار تاريخ حركتنا الأسير حقق العمل الثقافي إنجازات مهمة وتاريخية، يصعب على الدارس قياسها، ذلك أنها تتعلق بالإنسان وبنيته الفكرية والمعرفية والتربوية، ولكنها ولا شك تتلمس من خلال المناضلين والمجاهدين الذين عاشوا التجربة فحفرت فيهم أثراً لا يزول، من خلال بعض الأرقام التي رصدناها في أثناء عملنا. ولكن ذلك كله يبقى قاصراً أمام حقيقة ما صنعتها هذه الثقافة وأنجزته على المستويين الخاص والعام.



1. إعداد الكادر الإسلامي والوطني والتنظيمي:

صنعت الثقافة الاعتقالية رجالاً قادوا العمل الإسلامي والجهادي والوطني الفلسطيني، وهو أبرز ما حققته الثقافة الاعتقالية. فلك أن تتخيل ما يمكن أن ينجزه أسير لديه الدافعية للعلم والمعرفة! يجلس جزءاً مهماً من ليله ممسكاً بكتابه أو كراسات يقرأها، ويمضي بعضاً من نهاره في محاضرات يحضرها، ويخوض يومياً نقاشات فكرية وعلمية وشرعية وسياسية مع إخوانه الأسرى.

يلتقي في سجنه مع نخبة من أصحاب التجربة والمعرفة في مختلف العلوم، والمعارف الأكاديمية، وأخرى عملية، وثالثة سياسية، وجاهدية، وقادة في التنظيمات والأحزاب الفلسطينية: يستمع إليهم، ويعيش وإياهم، فيقتدي ويستنير ويتعلم. يتلقى يومياً من تنظيمه نشرات وتعميمات وكراسات يلزم بقراءتها، وتعد له دورات "إعداد كادر" حتى ما يكاد أسير مجاهد إلا ويمر بها.

فإذا كان هذا الأسير ذا عقل متفتح وعزيمة وقادة، ومكث في سجنه سنوات على تلك الحال التي ذكرنا، فإنه ولا بدّ سيشهد قفزة واسعة في ثقافته وفكره ومعرفته، وتطوراً في قدراته، وازدياداً في العناوين التي اكتسبها.

عندما نرى أن بناء ثقافة المجاهد، وإعداد الكادر التنظيمي، وبناء النفس السوية، هو أبرز ما حققه العمل الثقافي في السجون، فإننا نرد ذلك إلى العدد الكبير من أبناء الحركة وعموم أبناء الشعب الفلسطيني الذين مروا بالتجربة الاعتقالية، والذين خضعوا وشاركوا بمستويات متباينة من التعبئة الثقافية الأسيرة.

ونرد ذلك أيضاً إلى ما شهدناه في السجون وخارجها من نقلات نوعية في وعي الأسرى وثقافتهم بما يصعب وصفه في هذه السطور، ولكن الشواهد كثيرة جداً، وتشمل جميع التنظيمات الفلسطينية. ولكن إن كان الحديث متركزاً على حركة حماس فكل قاداتها، تقريباً، خاضوا تجربة السجون، بدءاً من الشيخ أحمد ياسين، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي، وصلاح شحادة، وجمال منصور، وجمال سليم، ويوسف السركجي، وإسماعيل أبو شنب... وجميع أعضاء وقيادة الحركة، وقبلها قيادة الإخوان المسلمين، وجميع كوادر الصف الأول والثاني والثالث للحركة، بالإضافة إلى القواعد. فما من مسؤول منطقة إلا تمّ اعتقاله، وما من رئيس مجلس طلبة، أو أمير كتلة إسلامية إلا وخاض التجربة، وما من كاتب أو مفكر أو منظر،

إلا وكان للسجن أثراً في كتابته وفكره. ولم ينبج من الأسر إلا من عاش منهم خارج فلسطين. لقد عشنا مع بعض من هؤلاء القادة، وسمعنا منهم كيف أن بعضهم حفظ القرآن في زنزانته، أو ألف كتبه في سجنه، أو قرأ في سجنه كتباً أكثر من مجموع ما قرأه في حياته، ولا أجد للتوسع في ذكر أسمائهم من داعٍ إلا أن هذا البند وحده كفيلاً بأن يكون عنواناً لما حققه الأداء الثقافي في السجون.

2. إيجاد حصانة أمنية لدى قطاع من الشعب الفلسطيني:

فبناء الثقافة الاعتقالية لا يخلو من الشق التعبوي، والتثقيف الأمني الذي تتكفل به لجنة التعبئة والتوجيه في جهاز الأمن "مجد" داخل السجون. هذه التعبئة تعنى بتحصين الأسير بشكل خاص، وأبناء الشعب الفلسطيني عموماً، ضدّ السقوط في شرك الخيانة والعمالة لأجهزة الاحتلال، وتثقيفهم بكافة أساليب مواجهة مخططات الاحتلال على اختلافها، والصمود في ميادين المواجهة، سواء في ميادين المقاومة، أم أقبية التحقيق، أم في الحياة اليومية عموماً.

ففي واقع الاحتلال تصبح ثقافة التحصين، والبناء الفكري المقاوم، أولى أولويات التثقيف وهي أكثر ما تكون داخل السجون، حتى أصبح السجن هو المكان الطبيعي والأمثل لهذه الثقافة، نظراً لطبيعة الأشخاص الموجودين في هذا المكان، وخبراتهم واهتماماتهم، وما يجبرونه من مواد توعوية وتعبوية أمنية من تنظيماتهم.

وقد أدى السجن جزئياً هذا الدور، وما يصدر من دراسات أمنية مطبوعة ورقياً، أو منشورة على النت، أو متوفرة في السجون، كلها من إنتاج العمل الثقافي الأسير؛ سواء تمّ كتابتها داخل السجن وهو الغالب السائد، أم كتبها أسير بعد خوضه التجربة الاعتقالية ثم الإفراج عنه.

3. تحسين الواقع الاعتقالي:

قد يتفاجأ القارئ من ربط العمل الثقافي بالواقع الحياتي واليومي الاعتقالي، ولكن التجربة الثابتة تُشير إلى أن الصلة بينهما وثيقة لا تنفصم، حتى أنني أراها ثاني إنجازات العمل الثقافي من حيث الترتيب.

فالبرنامج الثقافي يملأ الوقت، ويعبئ الفراغ ويشغل الأسير بما هو مفيد، وهذا الأمر يؤدي إلى تقليل الملل الذي يراه الأسرى إحدى الأمراض القاتلة، وأحد الأسباب



التي تؤدي إلى النفور من حياة السجن إلى درجة تمنع الأسير بعد الإفراج عنه من الإقدام على المشاركة في عمل وطني وجهادي يؤدي به إلى السجن ثانية.

وملء الوقت يؤدي كذلك إلى تقليل الإشكالات الإدارية والحياتية في واقع السجن، وقد قيل "الجيش العاطل عن العمل تكثر فيه المشاغبات". فانشغال الأسير بالمفيد يصرف نظره عن توافه الأمور، ويرفع من مستوى اهتماماته، فيساعد ذلك على فرض حالة الاستقرار.

والبرنامج الثقافي يحوي بين ثناياه شقاً علاجياً، يعالج فيه أمراضاً فكرية وأخلاقية وتربوية، يقع بها بعض الأسرى فتؤثر بالواقع العام، وعلاجها يساهم في تحسين الواقع الحياتي، ويرقى به قدماً.

كما أن البرنامج الثقافي بما يحويه من فقرات وأنشطة يُشعر الأسير بالإنجاز، وهو بذلك يمنحه أملاً وتفاؤلاً وثقة، ويشعره أن فترة سجنه لم تذهب سدىً، فيسهم في استقراره، واستقرار الفرد استقراراً للجماعة، والاستقرار أوضح أشكال تحسين الواقع الاعتقالي.

وشهادتنا تقول إن البرنامج الثقافي كان، بجانب البرنامج الإداري والخطوات النضالية، أبرز العوامل التي أدت إلى استقرار وتحسين وتطوير الواقع الاعتقالي. ضمن هذه المحاور الرئيسية الثلاثة تقع إنجازات تفصيلية كثيرة، وأهداف استطاعت لجان العمل الثقافي تحقيقها.

فقد استطاعت الإسهام في تهذيب عشرات آلاف النفوس، والارتقاء بها، وزيادة ربطها بالله عز وجل، وبالمفاهيم الإسلامية الأصلية، وتزويدها بثقافة لم تكن قبل أن يخوض الأسير تجربة الاعتقال.

وتوثيق صلة المجاهد بكتاب الله عز وجل وحديث رسوله، وقد شهدنا مئات الأسرى الذين حفظوا كتاب الله غيباً، وأضعاف أضعافهم حفظوا أجزاء منه، بالإضافة إلى من حفظوا عدداً من أحاديث رسول الله ﷺ.

وآلاف تخرجوا من دورات "إعداد الكادر"، والفنون الإدارية والقيادية والفكرية التي أهلتهم لممارسة أدوار متقدمة في تنظيمهم ومجتمعهم.

ومئات أتقنوا اللغة العبرية على أصولها، وهل أفضل من السجن لتعليم اللغة العبرية، فتابعوا وسائل إعلام الاحتلال وإصداراته، حتى أصبحوا أصحاب خبرة وتخصص في الشأن الإسرائيلي، وثمار ذلك لا تخفى على أحد.

ومثلهم من أتقن فنون الخطابة، فعاد إلى بلده خطيباً وواعظاً وداعياً إلى الله على بصيرة، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فكان السجن مركزاً لتأهيل الدعاة.

وتخرّج عدد لا بأس به من حملة شهادات الثانوية العامة، وشهادات الدبلوم والبيكالوريوس والماجستير، وقد أجرينا إحصاء للمسجلين في البرنامج، في أثناء كتابة السطور، فوجدنا أكثر من 600 طالب منتسب لجامعة الأقصى والكلية الجامعية، وأكثر من 500 طالب من عناصر حركة حماس، بالإضافة إلى أكثر من 300 طالب منتسب للثانوية العامة "التوجيهي".

وتمّ إصدار مئات الكراسات والدراسات، وطباعة العشرات منها وتصديرها إلى الشارع الفلسطيني، وهي متنوعة، إلا أن معظمها متعلّق بثقافة المقاومة، والإصدارات الأمنية، والتجارب الشخصية، بالإضافة إلى الإصدارات الأدبية؛ الشعرية والنثرية والقصصية والروائية، وصفحة "القلم الأسير" على الفيسبوك يحوي بعضاً منها.

سادساً: الإصدارات الثقافية:

يشارك الأسرى كشريحة من شرائح المجتمع بما أمكن من فعاليات وأنشطة تشعرهم أنهم غير منفصلين عن مجتمعاتهم، وتسهم في خدمة المجتمع بما تملكه من إمكانات، ومن هذه المشاركات إصدار الكتب والدراسات، وكتابة المقالات والمشاركات الأدبية، وهو ما عُرف باسم "أدب السجون".

ومما لا شكّ فيه أن الشعوب العربية عموماً، ومنها الشعب الفلسطيني، ضحلة الإنتاج في مجال الكتابة والتأليف، ولم تختلف شريحة الأسرى عن هذا التقييم، ولم يختلف كثيراً حال أسرى حركة حماس عن باقي أسرى التنظيمات الفلسطينية في السجون.



فلو أردت أن تجمع ما كتبه الأسرى عبر عشرات السنين، أكثر من نصف قرن، لوجدته خجولاً متواضعاً لا يتناسب وعدد الأسرى، ونوعيتهم، ودورهم المأمول، كما لا يتناسب مع طول المدة الزمنية التي ذكرناها.⁷

عندما قمنا بإنشاء صفحة الفيسبوك، التي تتبع اللجنة الثقافية العامة للهيئة القيادية العليا وأسميناها ”القلم الأسير“، أردنا أن نجمع فيها إصدارات أسرانا في السنوات الماضية، فلم نجد إلا عشرات الدراسات، مع أن عدد ما أصدره أسرى حركة حماس منذ عقود ربما بلغ بضع مئات... ولعل ذلك يُبين حجم القصور في العناية بجمعها.

إلا أن التفاؤل يحدونا بعد أن شهدنا في السنوات الأخيرة قفزة نوعية في الإنجاز، وتقدماً ملحوظاً في حجم الإنتاج الأدبي للأسرى، حتى أنها قد تزيد في مجموعها عن مجموع ما أصدره أسرى الحركة منذ نشأة الجماعة الإسلامية في السجون.

وإذا ألقينا نظرة على إصدارات الأسرى التي خرجت إلى النور على شكل كتب، فإننا نجدها متنوعة تغطي العديد من المجالات، باستثناء المجال العلمي الذي يحتاج إلى تجارب علمية ومختبرية، فقد أكثر الأسرى من الكتابات الأدبية، فكتبوا في الرواية، وفي القصة القصيرة، وفي الشعر، وفي الخاطرة، وكتبوا في التوثيق التاريخي الذي غلب عليه توثيق تجاربهم في ساحات المقاومة وفي أقبية السجون، من خلال تجارب اعتقالية ونضالية بكافة جزئياتها وتفصيلها، وكتبوا في الجانب الشرعي، من فقه دعوة وتفسير وتربية وتزكية... إلخ.

وقد ظهر الأدب المقاوم في جميع أشكال كتاباتهم، سواء في التوثيق، أم في الدراسات الأمنية، وهو باب عريض، والتي لم تصدر إلا عن أسير في سجنه، أو أسير محرر خاض تجربة التحقيق، وكذا ظهرت في الكتابات الأدبية التي ذكرناها، فكانت عناصر المقاومة والمعاني الوطنية حاضرة في القصص والروايات والأشعار والخواطر.

قلة الإنتاج الذي عانى منه الأسرى للسبب ذاته، وهم من يتحمل مسؤوليته الأولى، إلا أن ذلك لا ينفي وجود عوامل أخرى أسهمت في هذا الضعف، ووقفت في وجه المزيد من الإصدارات والاهتمام بالكتابة والتأليف. ومن هذه العوامل عدم وجود توجيه

⁷ انظر بند ثامناً ”من إصدارات أسرى حركة حماس“، ص 161-163، وبند تاسعاً ”دراسات علمية أصدرها الأسرى“ في الفصل الرابع ”ملاحق ثقافية“، ص 164، من هذا الكتاب.

فاعل للإخوة الأسرى نحو الكتابة والتوثيق، أو الكتابة في عناوين ومحاور محدودة تحتاجها الحركة والمجتمع. بالإضافة إلى عدم وجود مراجع كافية ومتخصصة تخدم أغراض البحث، وتساعد في إصدار بعض المواضيع التي كان عدد من الأسرى يرغب ويسعى للكتابة فيها.

ولعل من أبرز المعوقات التي تواجه إصدار المزيد من المؤلفات ما تقوم به إدارات السجون الصهيونية من مصادر متكررة لما يخطه الأسرى من مواد، وخصوصاً أن الكثير من كتاباتهم، كما أسلفنا، تأخذ الطابع الأمني المقاوم، أو السياسي الممانع، فكم من دراسات تمّ مصادرتها بعد إنجازها، وكم من كتابات فقدت فصولاً منها على يد شرطة مصلحة السجون.

ولا تعلم كم يصاب الأسير بالإحباط بعد أن يضيع إنتاجه الذي سهر عليه الليالي، واستغرق في كتابته الشهور، فلا يجد الحافز أو القدرة على إعادة الكرة والكتابة من جديد.⁸

ومعوق آخر ضمن قائمة المعوقات هو عدم وجود اهتمام حقيقي وتبني رسمي أو تنظيمي أو مؤسسي لما يصدره الأسرى. وهو إشكال عانى منه أسرى حركة حماس سنين طوال، إلى أن بدأ يجد طريقاً للحل بإنشاء مؤسسات متخصصة في قطاع غزة لمتابعة ما يصدر عن الأسرى، وطباعته، الأمر الذي يجعلنا نلاحظ أن حجم الإصدارات المطبوعة والمنشورة في السنوات الأخيرة يفوق أضعاف ما تمّ طباعته ونشره في السنوات التي سبقت.

والعائق الأمني أحد العوائق التي لا يمكن إهمالها أو تجاهلها، فإذا أراد الأسير أن يكتب في الشق الأمني أو العسكري فإنه يخشى على نفسه من الاعتقال والمحاكمة بتهمة التحريض والكتابة في المحظورات، فيمنعه ذلك من الكتابة، أو يمنعه من الطباعة، فيبقى ما كتب مخطوطاً بين يدي الأسرى في السجون للانتقاع به، وبعضهم يطبعه تحت اسم وهمي حتى لا يقع تحت طائلة المسؤولية.⁹

⁸ فقدت شخصياً قرابة عشرة مخطوطات بين كتب وكتيبات، بسبب مصادرتها من مصلحة السجون الصهيونية، أو جيش الاحتلال.

⁹ بعد نشري لعدد من الكتب التي أنجزتها في سجن، تمّ اعتقاله، وحكمت عليّ محكمة الاحتلال العسكرية بالسجن الفعلي عامين فعلي، ووقف تنفيذ سنة ونصف أخرى، بتهمة كتابة مواد تحريضية.



ويبقى العائق الذاتي يتصدر أسباب شحّ الإنتاج؛ فكثير منا معسر الأسرى لم يدركوا حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، ولم يعدوا أنفسهم بالصورة التي تؤهلهم لذلك، ولم يبادروا إلى الكتابة في المجالات التي يمتلكون فيها الخبرة والمعلومة، فقصروا وتواكلوا، فخرج الإنتاج شحيحاً على ما هو عليه.

لقد عانى العديد من أسرى الحركة من حالة إحباط من الكتابة بعد أن كتبوا مراراً دراسات وكتباً قيمة، ثم لم تجد من يوليها أي اهتمام، وبقيت تنتقل من يد إلى أخرى لسنوات، إلى أن ضاعت أو فقدت قيمتها بسبب الفارق الزمني بين تاريخ كتابتها وتاريخ إصدارها.¹⁰ فلم يكن لدينا مؤسسة تتبنى ما ينتجه أسرى الحركة، ولا جهة تتكفل بتكلفة الإصدار، مما زاد من العبء الملقى على الأسير بعد الكتابة، بدءاً من صعوبة إخراج المادة المكتوبة، ومن ثم البحث عن من يقوم بعبء طباعتها، وصولاً إلى دفع تكلفة الطباعة من جيبه الخاص، وليس انتهاءً ببذل الجهد في ترويجها ونشرها، الأمر الذي لا يستطيعه كثير من الأسرى.

ولا ننسى أن إصدار كتابات الأسرى من أبناء حركة حماس في الضفة الغربية يعترضه معضلة كبيرة، وتحديدًا إن كان الإصدار متعلقاً بالشق الأمني أو الجهادي، أو حتى بتاريخ الحركة؛ فلا مطابع تجرؤ على طباعتها، ولا مؤسسات السلطة تقبل تبنيها، وتوزيعها ليس بالأمر اليسور.

أما عن كيفية إخراج الدراسات إلى خارج السجن فقد اختلفت الطرق وتنوعت تبعاً لزمانها. ففي الماضي كانت الدراسات تخرج مخطوطة مع المفرج عنهم، وكان ذلك مسموحاً به، ثم لما منعت مصلحة السجون أحداً من إخراج المواد المكتوبة، بدأ الأسرى بتهريبها بطرق عدة، من خلال كتابتها على أوراق دقيقة، وإخراجها على شكل "كباسيل" (مفرد كبسولة) يخفيها الأسير في ثيابه بشكل مبدع قبل الإفراج عنه، أو ابتلاعها، ومن ثم إخراجها من جوفه بعد خروجه من السجن، ومع مرور الوقت امتلك الأسرى أدوات اتصال مهربة، فاستخدموها في إخراج المواد من خلال

¹⁰ كتبت كتاباً سنة 2003 بعنوان "الكتلة الإسلامية... ملامح وآفاق"، وهو أول كتاب يكتب عن الكتلة الإسلامية، يفصل تاريخها ويحلل أداءها. وبقي الكتاب ينتقل بين الأيدي حتى كانت طباعته سنة 2014، بعد أن ضاعت ثلث مادته، وفقد جزءاً مهماً من قيمته.

تسجيلها صوتياً بالمكالمات الهاتفية. ثم لما دخلت الأجهزة الذكية إلى بعض السجون، أصبح أسلوب تصوير الأوراق وإرسالها على شكل رسائل إلى الخارج، وأسهم ذلك في تسهيل مهمة إخراج الدراسات.

لقد عملت اللجنة الثقافية للهيئة على استدراك الخلل، وحلّ مواطن الإشكال، من خلال إنشاء مركز دراسات خاص بإصدارات الأسرى التابع للهيئة، أسمته "مركز عبد الصمد حريزات لدراسات الأسرى"،¹¹ يحفّز الأسرى على الكتابة، ويوجههم إلى المحاور التي تحتاجها المرحلة للكتابة فيها، ويتبنى إصداراتهم طباعة ونشراً وتسويقاً وقد نجحت الهيئة في ذلك مؤقتاً، إلا أنه وللأسف ولأسباب "غير ذات قيمة" أدّت إلى العدول عن المشروع إلى فكرة بديلة تفي، جزئياً، بالغرض، وتقوم بعبء وجهد وتكاليف إصدار الكتب والدراسات، فكانت نقلة مهمة في حجم الإصدارات الثقافية لأبناء حركة حماس في السجون.

سابعاً: عقبات ومعوقات:

بما أن العمل الثقافي ساحته السجون، وهي ساحة مليئة بالقيود، وتعيّج بالمحظورات، وتتعرض لكثير من المتغيرات، وتتحكم بها مصلحة السجون الصهيونية بصلف وممارسات قمعية، والكثير من القيود المفروضة. وهي ساحة تخضع لرقابة لصيقة على مدار الساعة عبر الكاميرات وأجهزة المراقبة، وعبر السجانين وأذناهم. هذه التفاصيل تؤثر سلباً على سير البرنامج الثقافي، وتحدّ من نجاحه، وتقلل من حجم إنجازاته.

إلا أن هذه المعوقات وبحجمها استطاع الأسرى أن يتعاملوا معها، وأن يتجاوزوها، وأن يجدوا حلاً جزئياً لها، بمعالجة ما أمكن منها، والالتفاف على قيودها تارة أخرى، وبالتأقلم والصبر على ما يترتب عليها من صعوبات تارة ثالثة، وبإيجاد البدائل أحياناً أخرى.

¹¹ الشهيد عبد الصمد حريزات، هو أحد أبناء حركة حماس الذين استشهدوا جراء تعذيبهم في أقبية التحقيق الصهيونية.



1. حالة عدم استقرار في الساحة الاعتقالية:

هي ساحة مواجهة مع السجن، والأسير وقودها والمقاتل فيها. ساحة تهدأ أو تسكن أحياناً، ثم ما تلبث أن تلتهب وتغلي أحياناً أخرى، وفي كل ظروف يختلف الحال وتختلف طرق التعامل معه. ففي الوقت الذي يخوض فيه الأسرى برامج تصعيدية لتحصيل الحقوق التي سلبها السجن منهم، تدخل السجون حالة من التوتر والتصعيد، تتوقف معها مختلف البرامج الثقافية والإدارية أو تكاد.

وفي أحيان أخرى يُقدم السجن على خطوة استفزازية وعدائية للأسرى، أو بحق ذويهم في أثناء زيارات الأهل، تكون ردة فعل الأسرى قوية ويترتب على ذلك أحداث وحالات توتر كثيرة لا يمكن الوقوف عليها جميعها، كالكشف حالات هرب من السجن أو محاولات، وعند التفتيشات الكبيرة التي تنفذها إدارة السجن دورياً، وفي بعض الأحداث السياسية الكبيرة على الساحة الفلسطينية، والتي تنعكس على واقع السجن، وغير ذلك.

وفي جميع الحالات يتوتر الواقع، ويربك نظام الحياة اليومي، فتمنع زيارات الغرف، وتشوش أوقات الفورات، وتكثر عمليات التفتيش واقتحام الغرف وأعمال التنكيل على اختلاف أشكالها. وأكثر ما يتأثر بهذه الأحداث هو البرنامج الثقافي، لأنه مرهون بمعظمه بمواعيد الفورات وزيارات الغرف، ويحتاج إلى استقرار يُتيح تنظيم فقراته.

2. التنقلات:

من عاش السجن يعرف أن الأسير معرض للتنقل من سجنه إلى سجن آخر في كل لحظة، بسبب أو بدون سبب، ولا يملك المؤشر الحقيقي الذي يجعله يدرك كم سيمكث في سجنه قبل أن يتم نقله إلى غيره. فالتنقلات التي تصيب الأسرى تمسّ الواقع الثقافي من ناحيتين:

• أنه ينقل الكفاءات من مواقعها، هذه الكفاءات هي المسؤولة عن البرنامج الثقافي كلياً أو جزئياً. فمنها من يدير البرنامج الثقافي، ومنها من يشارك فيه بالتدريس والمحاضرة، ومنها من يشرف ويتابع ويقيم. فإذا انتقل الأخ الذي يدرّس مساقاً أو دورة فإن هذا المساق والدورة سيتعطل إن لم يجد البديل الذي يغطي الدور، وإن كان الأخ مسؤولاً، فسيأتي أخ بديل قد لا يكون بالكفاءة ذاتها، أو الفهم للبرنامج الحالي وفلسفته مما يؤدي إلى إرباك في الأداء.

• هي نقل العناصر وعموم المجاهدين الذين ينتظمون في البرنامج الثقافي، ويحضرون المحاضرات، ويشاركون في اللقاءات والدورات. فإذا كان نقلهم في منتصف الدورة التنظيمية الثقافية، فإنه سيفقد القدرة على إتمام ما بدأه، والخروج بالفائدة المرجوة، وهي مسألة دائمة التكرار، فإذا جاء القادم الجديد المنقول من سجن آخر، كان دخوله على الدورات وهي في منتصفها، وبالتالي فهو إما غير قادر على الالتحاق بالدورة، أو أنه سيلتحق بها ويتحصل على فائدة مجزوءة.

3. كثرة القيود:

السجن عنوان للقيود والممنوعات. فليس الأسير حراً في حركته بين الغرف والأقسام في السجن الواحد، ولا بين السجون بطبيعة الحال، وليس له أن يجمع أي عدد يريده من الأسرى في الموقع الذي يريد، ولا يملك أن يدخل من خلال زيارة الأهل ما يحتاجه من أدوات تعليمية ومواد ثقافية ومراجع علمية.

فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ لا يسمح باجتماع أكثر من عدد محدود من الأسرى في الغرفة الواحدة، ويختلف هذا العدد من سجن إلى آخر، ولا يسمح للأسرى بإقامة نشاط احتفالي في ساحة السجن، كما لا يسمح بعقد محاضرات في الساحة، ولا يسمح للأسرى بالتحرك بين الأقسام، حتى توزيع أصحاب الكفاءات والقدرات بين مختلف أقسام السجن الواحد أمر ليس باليسير وإن تمكنت الحركة الأسيرة من إنجازه، ولا يسمح بالزيارة بين الغرف إلا في وقت محدود، ولفترة محدودة. كل هذه القيود وغيرها تتغير سلباً وإيجاباً مع الأيام وبحسب استقرار الأوضاع، وهي بمجموعها قيود ضاغطة تؤثر سلباً على البرنامج الثقافي وانتظامه وإنتاجه.

4. قلة الإمكانيات:

وهي تتبع للبند السابق، فكثرة القيود والممنوعات تقلل من الإمكانيات المتوفرة في يد الأسير، ومنها أدوات التعليم؛ بدءاً من القرطاسية التي تسمح بإدارة السجن بشرائها من الكنتين، وهي محدودة جداً، فليس كل ما يطلبه الأسير مسموحاً، فالأقلام المسموحة نوع محدد وكذا الأوراق، أما المساطر والبريات ومعظم أصناف القرطاسية الأخرى ممنوعة، بالإضافة إلى أن جميع أصناف القرطاسية بلا استثناء ممنوع إدخالها عن طريق الأهل عبر الزيارات.



كذلك الأمر مع أدوات التعليم الأخرى؛ فالألواح التعليمية ممنوعة بشكل كامل، وكذا أوراق الكربون، والوسائل التعليمية المساعدة، وجميع أدوات التعليم الحديثة ممنوعة كذلك، لا سيّما الإلكتروني منها. أما الكتب فمسموحة بقيود؛ فحجم الكتاب محدد ولا يسمح للكتب الكبيرة بإدخالها، وإن كان غلاف الكتاب سميكاً، مجلداً، فإن إدارة السجن تقوم بتمزيق الغلاف وتدخله إلى الأسير دون غلاف، ووقت إدخال الكتب محدوداً، فهي تسمح في فترة من العام ثم لا تلبث أن تمنع لأشهر طويلة قبل أن تُعيد الكرة من جديد. وكل أسير يريد إدخال الكتب مطلوب منه أن يقدم طلباً لإدارة السجن ثم تقوم هي بإعطاء الموافقة بالإدخال، وطريق إدخال الكتب مقيد بالزيارات ضمن ضوابط كثيرة، بالإضافة إلى الصليب الأحمر الدولي الذي يدخل سنوياً عدداً معيناً من الكتب. وموضوع الكتاب مقيد، فكل ما ترى إدارة السجن أنه تحريض لا يسمح به، وكل كتاب تعليمي، منهجي، لا يسمح به أيضاً، وبالتالي فإن الكتب تدخل إلى مكاتب إدارة السجن ليقوم أحد الشرطة الدروز أو العرب بالاطلاع عليها وإعطاء القرار بالسماح بها أو منعها. وعدد الكتب المسموح بها في مكتبة السجن محدود، وإذا أراد الأسير إدخال كتب جديدة فهو مضطر في كثير من الأحيان إلى إخراج كتب من القسم بديلاً عنها، حتى لا يزيد العدد عما هو مسموح به.

والسجون لا تحوي قاعات تدريس أو مقاعد تعليمية، باستثناء أقسام الأشبال، وأحياناً تفتقر إلى الطاولات البلاستيكية الكافية للاستخدامات المتعددة.

5. التخوفات الأمنية:

على الرغم من نجاح الأسرى في فرض الحلقات الثقافية كأمر واقع، إلا أن تخوفات أمنية تصاحب عقد هذه الحلقات في بعض الأحيان. فقد ذكرنا مثلاً أن جزء من البرامج التثقيفية تقدم مواد أمنية تبصر الأسير بسبل مواجهة أساليب الشاباك في محاربة أبناء الشعب الفلسطيني سواء في التحقيق والحصول على المعلومات أم في محاولات الإسقاط، وترشده إلى السبل المثلى لمقاومة الاحتلال. وهذا الأمر بحد ذاته أمر يراه الاحتلال محظوراً يحاسب مقدمه عليه، مما يدفع اللجان الثقافية إلى الحذر في تقديمه والامتناع عن ذلك أحياناً. وهكذا فإن الأسير الإداري يخشى أحياناً أن يسجل في ملفه أنه يدرس الأسرى في السجن، خصوصاً أنه مسجون بغير تهمة ولا انتماء، فيجعله متحفظاً ومتحفظاً في بعض الأحيان، وغير راغب في التدريس.

ثم إن المواد الأمنية والجهادية التي ذكرناها يتخوف الأسرى من الاحتفاظ بكراساتها وأوراقها، وتحمل تبعات ذلك إن ضبطتها شرطة مصلحة السجون الصهيونية، الأمر الذي يُعيق القيام بالواجب اللازم في باب "التعبئة والتوجيه"
وهذه بعض المحاذير والتخوفات الأمنية التي تؤثر سلباً على أداء جزء من البرنامج الثقافي.

يضاف إلى ما سبق معوقات جزئية أخرى تسهم في إضعاف البرنامج الثقافي، ومنها اكتظاظ عدد الأسرى في الغرف، وما يترتب على ذلك من ضياع وقت في الحديث والجلسات الجانبية، بالإضافة إلى صعوبة الدراسة في ظلّ تحرك عشرة أسرى أو ثمانية في غرفة صغيرة مغلقة، بل إن بعض السجون القديمة كسجن عسقلان يحوي غرفةً تضم الواحدة منها عشرين أسيراً، وفي الخيام عدد مماثل في كل خيمة كما في سجن النقب.

واختلاف أعمار الأسرى، ومستوياتهم الثقافية، وقدراتهم، وخلفياتهم، واهتماماتهم، كل ذلك يؤثر، أحياناً، سلباً على البرنامج الثقافي، أو على مقدار استفادة الواحد منهم من اللقاءات التي يحضرها، وخصوصاً عند البحث عن برامج ومناهج تتناسب مع الجميع، أو أسلوب وأداء يستوعبه المجموع، ما يضطر الأسرى إلى معالجة ذلك بعمل برامج عدة، وبمستويات مختلفة، وهذا ما قد لا يكون متاحاً في جميع الحالات.

وهكذا فإن ما يمكن أن نطلق عليه "إشكال الأمر الواقع"، والذي تتسبب به مصلحة السجون، وما تفرضه من إجراءات وقوانين وتضييق على الأسرى، تعمل على تقييد حرية وحدود ومجالات سير البرامج الثقافية في السجون.

وبالرغم مما ذكرناه فإن الحركة الأسيرة عموماً، وتنظيم حماس على وجه الخصوص، استطاعت أن تتجاوز العديد من هذه العقبات والمعوقات، وأوجدت لها البدائل الممكنة، وأبدعت في ذلك. فاستخدموا الأبواب البلاستيكية الداخلية بدل الألواح، واستعاضوا عن القاعات الدراسية بالغرف التي يعيش فيها الأسرى، وقاموا بتهريب بعض أنواع القرطاسية التي يحتاجونها، وأعدوا بعضها الآخر على أيديهم، واضطروا إلى تشغيل الأسرى في نسخ المواد المطلوبة لعدم وجود آلات تصوير أو طباعة، وأدخلوا الكتب والمناهج التعليمية بأساليب لا تخطر على بال، واستخدموا



الجولات المهربة لتحقيق هذا الهدف، وأوجدوا خطأً بديلةً واحتياطيةً لمشاريعهم تحسباً لأي طارئ. وقبل ذلك كله وبعده، نظموا العديد من الخطوات النضالية والتصعيدية المطالبة من إدارة مصلحة السجون الصهيونية بإزالة بعض القيود، وتغيير بعض القوانين، وتحقيق العديد من الإنجازات التي تسهل سير العمل الثقافي، ونجحوا في ذلك مراراً. وما نراه من مسموحات من القنصلية والكتب وتفصيل أخرى إنما هي جزء من هذه الإنجازات.

ثامناً: مواطن الخلل:

إن أردنا أن نتحدث عن معوقات أخرى تؤثر على البرنامج الثقافي ولكن من ناحية أخرى، فإننا نتحدث عن العقبات الداخلية، ومعوقات مصدرها داخلي، سواء من جهة التنظيم نفسه، أم من جهة المجاهدين، الأسرى. وقد أوردتها، مختصرة، اللجنة الثقافية ضمن "مشروع النهضة الثقافي والتربوي" مرفقةً بآليات ووسائل علاجها. والواجب يقتضي أن تعمل المنظمات في السجون على علاج أمراضها، واستدراك مواطن الخلل، والسير قدماً في تحقيق الأهداف الوطنية العامة.

هذه العقبات الداخلية بمعظمها يمكن استدراكها إن بذلت المنظمات في سبيل ذلك جهداً، فهي ليست إشكالات كبيرة، كما أن وجودها تفاوت بين الأقسام والسجون، وهي تظهر وتختفي، وتزيد وتنقص، ويعالجها التنظيم والقائمون عليه أحياناً، ويغفلون عنها أحياناً أخرى، وفي جميع الأحوال لم تؤدِّ هذه العقبات إلى وقف العمل الثقافي أو إفشاله، إنما أبطأت من سيره، وقلَّت من إنجازاته.

1. عدم إعطاء البرنامج الثقافي حقه من الاهتمام:

فقد تراجع العمل الثقافي من صدارة البرامج التنظيمية، وفي بعض الأحيان وصل إلى حدٍّ يمكن اعتباره ثانوياً، فتقدمت عليه الكنتين ومشترياتهما، والاجتماعية ومخصصاتها، والتلفاز وبرامجه. وأصبح إلغاء الجلسات الثقافية لأبسط سبب، وتجميد بعض الأنشطة لمجرد تقديرات فردية أمراً وارداً ومتكرراً. وأصبح المكلف بالشأن الثقافي المحلي داخل السجن، أحياناً، شخصاً ثانوياً، لا يشترط عند اختياره أن يكون الأكثر تميزاً والأقدر على ذلك.

ولكن حتى لا نظل أو نبالغ فإن هذه ليست حالة عامة، بل تحصل أحياناً وفي سجن دون غيره أو قسم دون سواه، وفي وقت ما وليس كل وقت. إلا أن التراجع العام لا يمكن إنكاره؛ فحجم الاهتمام الثقافي في تسعينيات القرن العشرين يفوق مثيله في عشرينيات القرن الحادي والعشرين بكثير.

إن التراجع في الاهتمام الثقافي أصاب عموم التنظيمات، وأكثر من أصابه في مَقَل هي حركة فتح، حيث كان اتفاق أو سلو حدثاً مفصلياً، وانعطافة حادة نحو ما يمكن اعتباره شبه إلغاء للبرنامج الثقافي. والثابت أن حركة حماس، بالإضافة إلى الجبهة الشعبية، بقيت على رأس التنظيمات التي حافظت على قدر أكبر من برامجها الثقافية.

2. فتور المجاهدين، وعزوف بعضهم عن البرامج الثقافية:

إن كان حال التنظيم كما ذكرناه في البند الأول، فإن حال القواعد التنظيمية ظهر عليها الأمر بصورة أكثر جلاءً، فهي انعكاس للواقع في الخارج، ولا يخفى على أحد ضعف التربية، وقلة الإعداد، وندرة المتابعة، وبالتالي التراجع النوعي في ظل غياب المحاضن، والحرب والملاحقة الدائمة في الضفة الغربية، وقد ظهرت هذه النتائج السلبية على أنصار ونشطاء حركة حماس في الضفة بشكل عام وليس فقط في السجون، إلا أن الواقع في السجون يكشف ذلك أكثر من غيره لضيق الحال والمجال.

ولا شك أن ظاهرة الفتور والعزوف موجودة في كل وقت، ولكنها ازدادت مع الأيام كما أسلفنا؛ الأمر الذي يحتاج إلى علاج ومتابعة.

3. عدم توفير الكادر الثقافي بشكل دائم، وفي كل المواقع:

هذا الخلل ذو شقين: شق متعلق بـ"إشكال الأمر الواقع" وليس للتنظيمات يد فيه، ولا تملك اللجان الثقافية أن تتحكم به. فالحالة التي نتحدث عنها هي الأسر والاعتقال، وإدارة مصلحة السجون الصهيونية هي من يدير الواقع، فيوزع الأسرى، وينقلهم بين السجون، والاحتلال يعتقل، ابتداءً، ويُفرج، ويفتح أو يغلق المزيد من الأقسام والسجون والمعتقلات.

أما الشق الثاني فمتعلق بالأسرى أنفسهم، وتنظيم السجن. ففي هذه الحالة تكون الكفاءات موجودة إلا أنها عازفة عن العمل، تكاسلاً أو إرهاقاً أو انشغالاً بمجالات أخرى، أو أن الكفاءات الموجودة تكون غير مكتشفة أو غير مصقولة، وأحياناً أخرى



تكون مهمشة وغير مستغلة. وربما تكون الكفاءات متجمعة في قسم من أقسام السجن دون غيره، برغبة منها، مما يحرم الأقسام الأخرى منها ومن قدراتها.

ولأن أي عمل يعتمد على القائمين عليه أولاً، فإن العمل الثقافي ينشط ويقوى ويثمر أكثر مع توفير المزيد من الكفاءات الفاعلة، ويتراجع ويتباطأ مع قلتهم أو عدم انخراطهم وتفاعلهم.

4. غياب المناهج الثقافية الخاصة:

البرنامج الثقافي الذي تديره اللجنة الثقافية لحركة حماس في السجن يعتمد في معظمه على أمرين:

- ثقافة الكادر التنظيمي الذي يقدم المواد الثقافية، وسعة اطلاعه وفكره وخبرته.
 - كتب ومراجع جاهزة، كإصدارات الشيخ يوسف القرضاوي في الفقه، والراشد والسباعي وغيرهما في فقه الدعوة، والصلابي في التاريخ، وغيرهم في العلوم الإسلامية، وكذلك كتب القضية الفلسطينية المشهورة... وهكذا في كل فرع من فروع الثقافة.
- وهذا أمر جيد ومطلوب، وفيه فائدة كبيرة، فهؤلاء العلماء والمفكرون هم خير من كتب في هذه الأبواب، ولا يمكن أن نقفز عن هذه المؤلفات، إلا أن الاكتفاء بها يعرض البرنامج الثقافي لخللين لا بدّ من الانتباه إليهما:
- الأول متعلق بغياب المنهج في بعض المحاور التي نحتاجها ومنها المحور الحركي، والمحور السياسي الراهن، وكذلك الأمني، وبعض القضايا الفرعية، بالإضافة للقضايا المتعلقة بواقع الأسير، وهذا كله مما لم يكتب به كبار المفكرين.
 - الثاني متعلق بالمناهج الجاهزة، فهي تختلف من منهج إلى آخر، ومن عالم إلى غيره، وما يتبناه وينظر إليه. كما أنها تختلف بحسب المتوفر منها من سجن إلى آخر، وما يتبناه المحاضر الذي يقدم المادة عن غيره. وبالتالي يصبح المعروض في المساق أو المحاضرة أو أي فقرة في البرنامج الثقافي ما يتبناه المحاضر ويميل إليه ويقع اختباره عليه، وهو ليس بالضرورة ما تختاره الحركة وتتبناه.

ولكننا نسجل هنا نجاحاً للجنة الثقافية للهيئة في سنواتها الأخيرة، حيث اعتمدت منهاجاً تربوياً موحداً يشمل السجن جميعها تحت مسمى "الشمالك"، وهو منهاج

تربوي شامل يغطي الجوانب التربوية، ويعتمد بشكل أساسي نظام الأسر مع شيء من التعديل والخصوصية، بالرغم من أن بعض السجون ما زالت لا تتبناه، وسنتعرض له تحليلاً وتفصيلاً بشكل مستقل.

5. عدم اعتماد برنامج ثقافي موحد للسجون:

تركت البرامج الثقافية في السجون الاجتهاد لكل سجن على حدة، بل لاجتهاد الأخ مسؤول اللجنة الثقافية في سجنه، والذي يستبدل عادة كل ستة أشهر. ولم يقر التنظيم برنامجاً ثقافياً موحداً، بخطوطه العريضة، تلتزم به السجون، مع ترك إدارته وتحديد تفاصيله للموقع.

هذا الخلل يؤدي إلى احتمالية حدوث تعارض بين مختلف السجون في برامجهم، فيكون البرنامج مرتهاً إلى همة القائم على العمل الثقافي في سجنه. فإن كان صاحب خبرة، وذو همة أنجح العمل، وإن كان ضعيف الخبرة، أو خافت الهمة، تعثر العمل وكان سقفه متدنياً. وقد كانت فكرة "منهاج النهضة الثقافي والتربوي" المرفق سعياً لمعالجة هذا الخلل.

تلك العقبات، ومواطن الخلل تأثر بها البرنامج الثقافي جزئياً، وتفاوت أدائه وإنجازه في ظل ظروف العمل هذه، ليدرك القارئ أن ما ذكرناه من معوقات تُحسب له، فقد أنجز على الرغم من كل تلك المصاعب، وفي ظل أقسى الظروف.



خطوط نشر كتب مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

أولاً: الإصدارات باللغة العربية (195 مجلداً وكتاباً):

1. سلسلة التقرير الاستراتيجي الفلسطيني، صدر من هذه السلسلة 12 مجلداً، تغطي الفترة 2005-2021.
2. سلسلة الوثائق الفلسطينية، صدر من هذه السلسلة 7 مجلدات، تغطي الفترة 2005-2011.
3. سلسلة اليوميات الفلسطينية، صدر من هذه السلسلة 9 مجلدات، تغطي الفترة 2014-2022.
4. سلسلة أولست إنساناً، صدر من هذه السلسلة 13 كتاباً.
5. سلسلة تقرير معلومات، صدر من هذه السلسلة 30 كتاباً.
6. سلسلة ملف معلومات، صدر من هذه السلسلة 11 كتاباً.
7. سلسلة دراسات علمية محكمة، صدر من هذه السلسلة 16 كتاباً.
8. كتب علمية متنوعة (97 كتاباً).

ثانياً: الإصدارات باللغة الإنجليزية (39 مجلداً وكتاباً):

1. The Palestine Strategic Report Series, 12 Volumes (2005-2021).
2. Am I Not a Human? Book Series, 12 Books.
3. Non-Serial Publications, 15 Books.



يوفر مركز الزيتونة الكثير من الكتب والدراسات
وفصول من كتب للتحميل المجاني عبر موقعه، يرجى
الاطلاع على الرابط التالي:

<https://www.alzaytouna.net>



The Cultural Experience of Hamas Movement in the Israeli Prisons

By:
Mohammad Najj Sabha

هذا الكتاب

يسعى هذا الكتاب إلى توثيق التجربة الثقافية لحركة المقاومة الإسلامية - حماس في السجون الإسرائيلية. إذ لا تكاد تسأل كادراً تنظيمياً أو قائداً وطنياً عاش تجربة الاعتقال إلا ويجيبك أن جزءاً مهماً من ثقافته ووعيه وفكره تشكل داخل السجن.

تناول هذا الكتاب التجربة الثقافية لأسرى حركة حماس؛ من خلال مشروع منهاج النهضة الثقافي والتربوي للأسرى ولجان العمل الثقافية، التي تشترك جميعها في تحقيق الأهداف الثقافية والتربوية والتعبوية في السجون، ومن خلال الدراسة الجامعية والتي تشكل مقاومة ثقافية تؤدي أغراضاً وطنية وشخصية، وكذلك الأنشطة والمشاريع الثقافية، التي تجعل من البرنامج الثقافي برنامجاً منهجياً محدد الملامح، وواضح الخطة.

يوضح هذا الكتاب أنّ العمل الثقافي لحركة حماس في السجون ممتدّ منذ نشأتها ومستمر ما دام لديها كوادر في السجون، ويحظى باهتمام كبير لدى تنظيم حماس. فهو الأساس الذي يصنع من خلاله الرجال في فترة الاعتقال، وهو الطريق الذي يعرّف من خلاله الثائرُ دربه، فيعمل على بصيرة، ويحمل قضيته بقناعة، ويسير في دربه بثبات.

ISBN 978-614-494-046-4



9 786144 940464



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب.: 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

